خلاصة شروح الأصول الثلاثة

جمعه

أبو عبد الله مقداد بن علي المليباري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

تقديم

الشيخ الفاضل أبي عمرو عبد الكريم الحجوري

الشيخ الفاضل أبي عاصم عبدالله الدبعي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية ــ ١٤٤٤هـ

الناشر

دار كنوز الإسلام
للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن ـ عدن
واتس: ٧٧٢٣٣٩٨٣٧

كنوز الإسلام

صُدرت ثلاثةُ الأصول بثلاث رسائل نافعة عظيمة -للشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ - هي قواعد في الدين:

الأولى منها: في وجوب العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه .

والثانية : في توحيد الربوبية، والألوهية، والولاء والبراء

والثالثة: في بيان التوحيد وضده.

وبذلك جاءت ثلاثة الأصول مع الرسائل الثلاث عقدا مكتملا في أصول الدين. ودرة مضيئة للعابدين الموحدين.

قال عنها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :هذه رسالة مهمة في العقيدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: بتوفيق الله أثناء تدريسي لإخواني في دار الحديث بالحامي ودار القرآن والحديث بحصوين الكتاب المبارك ثلاثة الأصول للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. جمعت في هذه الوريقات تلخيصا لأهم شروحاته ثلاثة-شرح العلامة العثيمين رحمه الله، و شرح العلامة الفوزان حفظه الله وشرح العلامة عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله مع بعض التعليقات.

راجيا من الله سبحانه تعالى استفادة نفسي أولا ثم لمن شاء من خلقه كما نفع بأصله نفعا كبيرا وأن يجعل هذا خالصا لوجهه وأن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه.

أسأل الله أن يحفظ مشايخ دور الحديث و من يقوم بشأنها ورحم الله مؤسس دار الحديث وحفظ خليفته وأسأل من الله عز وجل أن يجزي خير الجزاء لكل من تعاون معي في إخراج هذه الملخص ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كتبه الفقير إلى عفو ربه مغفرته

أبو عبد الله مقداد بن علي المليباري

دار القرآن والحديث

-حصوين-المهرة -اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ أبي عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ **أما بعد:**

فإن الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من المتون النافعة التي جعل الله لها قبولا عظيما بين المسلمين؛ ولذلك عني بها أهل العلم حفظا وشرحا وتعليقا، وذلك لأهميتها البالغة في موضوعها، وكان ممن له عناية بتلخيص كلام أهل العلم عليها، هو أخونا الفاضل أبو عبد الله مقداد بن علي الهندي حفظه الله ووفقه، وقد اطلعت على ما كتبه، فرأيته مختصرا مفيدا، أسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه، وقارئه، والحمد لله رب العالمين.

كتبه: أبو عمرو عبد الكريم الحجوري العمري

دار القرآن والحديث-حصوين

٧-٧-١٤٤٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ أبي عاصم عبد الله الدبعي حفظه الله

الحمد لله حمدا طيبا مباركا كما يحبه ربنا ويرضاه والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن والاه أمابعد :

فقد طالعت ما جمعه أخونا الفاضل الداعي إلى الله مقداد بن علي الهندي حفظه الله من شرح موجز للأصول الثلاثة ملخصا فيها بعض شروحات العلماء عليها فأفاد.

هذا وقد حبت الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي شروحا عدة وهذه منها فنسأل الله أن ينفع بشرحها كما نفع بأصلها وأن يجزي أخانا مقداد خيرًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه عبد الله بن محمد الدبعي

يوم الجمعة غرة شوال ١٤٣٩

اليمن–المهرة–حصوين

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة مؤلف كتاب (ثلاثة الأصول)

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ؛ هو الإمام العلامة، والمجاهد الصابر، والداعي إلى الله على بصيرة، والمجدد لدين ال في القرن الثاني عشر من هجرة المصطفى ﷺ؛ الشيخ: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان المشرفي التميمي النجدي.

ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ، ونشأ في بيت علم ورئاسة وشرف، فأبوه عبد الوهاب كان فقيها قاضيا، وجده سليمان كان مفتي بلاد نجد ورئيس علمائها، وأعمامه وأبناء أعمامه كانوا أهل رفعة وعلم ومكانة، كانت بلدته العيينة وما جاورها من بلاد نجد تعج بالعلماء، الذين كانوا على صلة وثيقة بعلماء الحنابلة في الشام وفلسطين وغيرها فكان فيهم فقهاء متبحرون في الفقه.

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين،وجد في طلب العلم ليلا ونهارا، فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون وقرأ الفقه والتفسير والحديث على أبيه وعلماء بلده، حتى ألم بما عندهم في وقت يسير، مع التروي والمناقشة والتدقيق، حتى أعجب به والده ومشايخه وزملاؤه.

ثم تطلع إلى المزيد من العلم فأقبل على كتاب الله، وتفسيره قراءة وتدبرا

واستنباطا، وعلى سنة الرسول ﷺ وسيرته، واستنتج منهما لاستنتاجات العجيبة، وقد دون هذه الاستنباطات المفيدة في كتبه ورسائله وفتاويه، وعكف على كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية. والشيخ الإمام ابن القيم، خصوصا كتب العقيدة.

ثم علت به همته وطموحاته فسافر إلى علماء الحرمين وعلماء الأحساء وعلماء البصرة في العراق والتقى بهم، وأخذ عنهم علما غزيرا في الفقه والحديث وعلومه، حتى تضلع بالعلم، وأخذه عن كل من تمكن من الالتقاء به من علماء عصره، ومطالعة كتب من تقدمهم من الأئمة المحققين، ودراسة التفسير والحديث دراسة فاحصة مدققة.

وعندما نظر إلى واقع أهل عصره وجد البون شاسعا بين هذا الواقع وبين ما دل عليه الكتاب والسنة، وما كان عليه أئمة السلف الصالح في الاعتقاد والمنهج.

فالعلماء في وقته في الغالب مشغولون بدراسة الفقه وعقائد علماء الكلام المخالفة لاعتقاد السلف، دون تمييز بين الصحيح والسقيم.

والعامة منهم كانوا في البدع والخرافات والشركيات ودعاء الأموات، دون أن يهب أحد من العلماء-فيما نعلم- لإصلاح هذا الواقع الأليم، والمرتع الوخيم.

عند ذلك لم يسع الشيخ محمدا رحمه الله السكوت عن التغيير والإنكار، والدعوة إلى الإصلاح، والعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتصفية العقيدة الإسلامية مما علق بها، وغير وجهها وبهجتها،وعكر صفوها ونظرتها.

فعزم على القيام بالدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وباشر الدعوة في بلدة- حريملاء التي استقر بها والده، ثم طورد منها ثم ذهب إلى العيينة ولم يستقر فيها فذهب إلى الدرعية فوجد فيها القبول، والترحيب على يد أميرها: محمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ.

فواصل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عمله في الدعوة إلى الله، وراسل علماء البلدان وأمراءها يدعوهم إلى الله، ويبين لهم ما هم واقعون فيه من مخالفات، وألف الكتب، وأجاب عن استشكالات من التبس عليهم الحق بالباطل؛فاستجاب لدعوة الشيخ من كان رائده الحق، وعاند من كان دافعه التعصب للباطل، فلم ير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بدا من جهاد هؤلاء بالحجة واللسان من قبله، وبالسيف والسنان من قبل ولاة الأمر من آل سعود أثابهم الله.

فكتب الله له النصر، ولدعوته الامتداد والانتشار؛ نتيجة لجهاد الإمامين: محمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن سعود- هذا بالحجة واللسان، وهذا بالسيف والسنان، وهكذا إذا اجتمع كتاب الله وسيف الجهاد انتصر الحق واندحر الباطل. (المقدمة إعانة المستفيد-بتصرف يسير).

"فأنت ترى أيها القارئ من هذا السياق قوة الأسباب التي بذلها الشيخ لتحصيل العلم: كثرة الحفظ وكثرة القراءة والاطلاع وكثرة الرحلات في طلب العلم للتلقي عن العلماء مع شدة الذكاء والنية الصالحة إن هذه الأسباب مع توفيق الله تعالى كفيلة بتوفر التحصيل وهذا ما حصل." (من أعلام المجددين- ج ١ ص ٥١).

مؤلفاته:

وله – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – مؤلفات نافعة نذكر منها:

١-كتاب التوحيد.

٢-كتاب "كشف الشبهات".

٣-كتاب "الكبائر".

٤- كتاب "ثلاثة الأصول".

٥- كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير".

٦- كتاب " مختصر زاد المعاد".

وله فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

وفاته:

توفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عام ١٢٠٦ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

"فبين أيدينا هذه الرسالة - رسالة ثلاثة الأصول - وهي رسالة جليلة مختصرة مؤيدة بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذه الرسالة في أصل عظيم من أصول الإسلام وهو العقيدة، وكان العلماء يهتمون بهذه المختصرات يؤلفونها، ويتعبون على اختصارها وتهذيبها ثم يحفظونها لطلبتهم؛ لتبقى أصولا عندهم وذخيرة عندهم يستفيدون منها ويفيدون منها.

والبداءة بهذه المختصرات هي الأساس لطلبة العلم، فطالب العلم يبدأ بالتعلم شيئا فشيئا يأخذ من مبادئ العلم وأصوله، ويتدرج فيه.

فهذه المختصرات طريق المطولات. لا يمكن أن تفهم المطولات إلا بعد فهم المختصرات والتدرج منها شيئًا فشيئًا؛ ولهذا قالوا في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] إن الربانيين هم الذين يبدؤون بصغائر مسائل العلم قبل كباره، يربون أنفسهم وطلابهم ابتداء من المسائل الصغيرة إلى المسائل الكبيرة، وهذا شيء طبيعي؛ لأن كل الأشياء تبدأ من أصولها وأساساتها ثم تكبر وتعظم بعد ذلك.

فأما الذي يهجم على العلم هجوما من أعلاه، فهذا يتعب ولا يحصل على

شيء، بينما الذي يبدأ من الأصول ويتدرج هذا هو الذي – بإذن الله – يسير مع الطريق الصحيح والاتجاه السليم". (مقدمة العلامة الفوزان)

لماذا خص هذه الأصول الثلاثة؟

لأنها هي الأساسات لدين الإسلام، ولأنها هي المسائل التي يسأل عنها العبد حين يوضع في قبره، لأن العبد إذا وضع في قبره وسوي عليه التراب وانصرف عنه الناس راجعين إلى أهلهم جاءه ملكان في القبر، فتعاد روحه في جسده، ويحيا حياة برزخية، ليست حياة مثل حياة الدنيا، حياة الله أعلم بها، فيجلسانه في قبره فيقولان له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟

فالمؤمن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ومحمد ﷺ نبيي.

فيقال له: كيف عرفت؟

يقول: قرأت كتاب الله فدريت وعرفت.

فينادي مناد: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا من الجنة، ويوسع له في قبره مد البصر، فيأتيه من ريح الجنة وروحها، فينظر إلى مسكنه في الجنة، فيقول: يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي» .

وأما المرتاب؛ الذي عاش على الريبة والشك وعدم اليقين، وإن كان يدعي الإسلام، إذا كان عنده شكوك وعنده ريب في دين الله كالمنافق فإنه يتلجلج، فإذا قالوا له: من ربك؟ يقول: لا أدري، وإذا قالوا: ما دينك؟ يقول: لا أدري، وإذا قيل: من نبيك؟ يقول: لا أدري، هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته» .

يعني أنه في الدنيا يقول ما يقوله الناس من غير إيمان، هذا المنافق والعياذ

بالله، هذا المنافق الذي أظهر الإسلام وهو لا يعتقده في قلبه، وإنما أظهره من أجل مصالحه الدنيوية، فيقول في الدنيا: ربي الله، وهو غير مؤمن بها، قلبه منكر والعياذ بالله!!

يقول: ديني الإسلام وهو لا يؤمن بالإسلام، قلبه منكر!!

يقول: نبيي محمد ﷺ وهو لا يؤمن برسالة محمد في قلبه! !

إنما يقول بلسانه فقط، هذا هو المنافق، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيضرب بمرزبة[(١)] من حديد يصيح بها صيحة لو سمعه الثقلان لصعقوا، يسمعها كل شيء إلا الإنسان، لو سمعه لصعق، أي لمات من الهول، ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويفتح له باب إلى النار، فيأتيه من سمومها وحرها، فيقول: يا رب لا تقم الساعة، هذه عيشته وحالته في القبر، والعياذ بالله، لأنه ما أجاب بالجواب السديد.

ولذلك ينادي مناد: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابا من النار» ، والعياذ بالله[(٢)].

فإذا كانت هذه المسائل بهذه الأهمية وجب علينا أن نتعلمها وأن نعتقدها، ولا يكفي التعلم فقط، بل نتعلمها ونعتقدها، ونؤمن بها، ونعمل بها ما دمنا على

---

(١) المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة وعصية من حديد (المعجم الوسيط).

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود برقم (٤٨٥٥) وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في الجامع الصحيح برقم(٥١٥).وجاء حديث يدل على عظم هذا الموقف (أنكم تفتنون في القبور قريبا من فتنة الدجال) حديث أسماء بنت أبي بكر في البخاري و مسلم. (خ:٧٢٨٧، م:٩٠٥).

قيد الحياة، لعل الله أن يثبتنا عند السؤال في القبر، يقول الله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

فهذه الأصول الثلاثة لها أهمية عظيمة، ولهذا ركز عليها الشيخ في هذه الرسالة ووضحها من أجل أن ندرسها، ونتمعن فيها ونعتقدها ونعمل بها، لعل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأربع المسائل

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

ابتدأ المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز، وتأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم في مكتباته ومراسلاته .

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله : **(اعلم)** أي: كن متهيئاً ومتفهماً لما يلقى إليك من المعلوم.

(رحمك الله) : دعاء لك بالرحمة، أي: غفر الله لك ما مضى ووفقك وعصمك فيما يستقبل، وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة فالمغفرة لما مضى، والرحمة: سؤال السلامة من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل.

قال العلامة صالح الفوزان : **(أنه يجب [١] علينا تعلم أربع مسائل)**

قوله: (يجب): يعني أن هذا الأمر ليس من المستحب، ولا من المباح، بل هو

---

(١) قال العلامة العثيمين رحمه الله: و الواجب يثاب فاعله امتثالا، ويستحق العقاب تاركه.

من الواجب العيني.

فإذا تركنا تعلم هذه المسائل فإننا نأثم لأن هذا شأن الواجب، لم يقل يستحب لنا أو يستحسن لنا بل قال يجب علينا وجوبا، والوجوب معناه الحتم من تركه يأثم، ولأن العلم لا يحصل عليه إلا بالتعلم، والتعلم يحتاج إلى عناية وجهد ووقت، ويحتاج إلى فهم وإلى حضور قلب، هذا هو التعلم.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

الأولى: العلم؛ وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام. (بالأدلة):

الأولى: العلم

قال العلامة عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله:

وهو معرفة الهدى بدليله.

العلم شفاء للقلوب المريضة. وإن أهم ما على العبد معرفة دينه، الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة، والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار، أعاذنا الله منها.

فما كان واجباً على الإنسان العمل به كأصول الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يجب اجتنابه من المحرمات، وما يحتاج إليه في المعاملات، ونحو ذلك مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عليه العلم به، بخلاف القدر الزائد على ما يحتاج إليه المعين فإنه من فروض الكفايات الذي إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، ثم إن طلب العلم فيما هو فرض كفاية أفضل من قيام الليل وصيام النهار والصدقة بالذهب والفضة. قال أحمد: تعلم العلم وتعليمه أفضل من الجهاد وغيره مما يتطوع به.

فإن العلم هو الأصل والأساس، وأعظم العبادات، وآكد فروض الكفايات، بل به حياة الإسلام والمسلمين، والتطوعات إنما هي شيء مختص بصاحبه لا يتعدى إلى غيره، وهو الميراث النبوي ونور القلوب، وأهله هم أهل الله وحزبه، وأولى الناس به وأقربهم إليه، وأخشاهم له وأرفعهم درجات

(وهو معرفة الله): أي: بما تعرف به إلينا في كتابه وسنة رسوله ﷺ من أسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يكون الإنسان على حقيقة من دينه إلا بعد العلم بالله سبحانه وتعالى.

(ومعرفة نبيه ﷺ) فهو الواسطة بيننا وبين الله في تبليغ رسالة الله، ومعرفته فرض على كل مكلف، وأحد مهمات الدين.

والنبي: رجل أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإن أمر به فرسول(١) .

(ومعرفة دين الإسلام)

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله معرفة دين الإسلام: **الإسلام بالمعنى العام** هو التعبد لله بما شرع منذ أن ارسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل: قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٨].

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من أتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم.

---

(١) قال صالح آل الشيخ في شرحه لثلاثة الأصول: النبي: هو من أوحي إليه بشرع، وأمر بتبليغه إلى قوم موافقين له، أو لم يؤمر بالتبليغ.
والرسول: هو من أوحي إليه بشرع أو كتاب وأمر بتبليغه إلى قوم مخالفين. وانظر- النبوات لابن تيمية رحمه الله (ج٢/ ص٧١٤).

فاليهود مسلمون في زمن موسى ﷺ والنصارى مسلمون في زمن عيسى ﷺ وأما حين بعث النبي محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين. وهذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه قال الله ﷻ : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩] ، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ٨٥] وهذا الإسلام هو الإسلام الذي امتن به على محمد ﷺ وأمته، قال الله تعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣] .اهـ

(بالأدلة): قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله: وفيه إشارة إلى أنه لا يصلح فيه التقليد.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

الثانية: العمل به، الثالثة: الدعوة إليه، الرابعة: الصبر على الأذى فيه[(١)].

(الثانية: العمل به): قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالعمل: هو ثمرة العلم، والعلم مقصود لغيره، فهو بمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الثمرة، فلا بد مع العلم بدين الإسلام العمل به، فإن الذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل، وفي الحديث: "أشد الناس عذاباً عالم لم ينفعه الله بعلمه [(٢)] "، وهو أحد الثلاثة الذين أخبر النبي ﷺ أنهم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة [(٣)] . وقد قيل:

وعامل بعلمه لم يعملن   معذب من قبل عباد الوثن

(الثالثة: الدعوة إليه): فإذا حصل له بتوفيق الله العلم بدين الإسلام والعمل به فيجب عليه السعي في الدعوة إليه، كما هي طريقة الرسل وأتباعهم. وأعلى مراتب العلم الدعوة إلى الحق وسبيل الرشاد، ونفي الشرك والفساد، فإنه ما من نبي يبعث إلى قومه إلا ويدعوهم إلى طاعة الله وإفراده بالعبادة، وينهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه، ويبدأ بالأهم فالأهم بعد ذلك من شرائع الإسلام.

(الرابعة: الصبر على الأذى فيه): لأن من قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الزاد (٣/ ٩) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

(٢) ضعفه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الضعيفة/ ١٦٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي-(٢٣٨٢) وانظر صحيح مسلم-(١٩٠٥).

فقد تحمل أمراً عظيماً، وقام مقام الرسل في الدعوة، وقصد أن يحول بين الناس وبين شهواتهم وأهوائهم واعتقاداتهم الباطلة، فحينئذ لابد أن يؤذوه، فعليه أن يصبر ويحتسب. وهذه الأربع أوجب الواجبات.اهـ

والدليل قوله تعالى: [وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ](١):

قال العلامة الفوزان حفظه الله: هذه المسائل الأربع يجب أن تتعلمها بالتفصيل، هل من دليل على ما قاله الشيخ؟ إن هذه المسائل الأربع يجب علينا تعلمها، وهو وعدنا أنه لا يقول شيئا إلا بدليل، فأين الدليل؟

قال: الدليل على ذلك قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ إلا الذين آمنوا: **هذه هي المسألة الأولى**: العلم، لأن الإيمان لا يكون إلا بعلم وهو معرفة الله عز وجل، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

المسألة الثانية: وعملوا الصالحات، هذا العمل بالعلم.

المسألة الثالثة: وتواصوا بالحق، فهذه الدعوة إلى العلم والعمل.

المسألة الرابعة: وتواصوا بالصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى العلم والعمل.

---

(١) عن ثابت البناني، عن أبي مدينة الدارمي، وكانت له صحبة قال:"كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: (والعصر إن الإنسان لفي خسر)، ثم يسلم أحدهما على الآخر ".أخرجه الطبراني في "الأوسط. صححه الألباني رحمه الله (الصحيحة:٢٦٤٨).
قال ابن رجب رحمه الله في لطائف المعارف؛ "فهذه السورة ميزان للأعمال يَزِنُ المؤمن بها نفسه فيبين له بها ربحه من خسرانه"

فقوله سبحانه: **(والعصر):** الواو: واو القسم، والعصر اسم مقسم به مجرور وعلامة جره الكسرة والمراد به الوقت والزمان.

أقسم الله – تعالى – بالزمان والوقت وهو مخلوق، والله – جل وعلا – يقسم بما شاء من الخلق، والمخلوق لا يقسم إلا بالله، والله لا يقسم إلا بشيء له أهمية، وفيه آية من آياته – سبحانه وتعالى – فهذا الزمان فيه عبرة وله أهمية، ولذلك أقسم الله بالعصر، وبالليل إذا يغشى، وأقسم بالضحى.

أما المخلوق فإنه لا يقسم إلا بالله، ولا يجوز لنا أن نحلف بغير الله، قال – ﷺ –: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» ، وقال: «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» .

قوله: (﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾) الإنسان جميع بني آدم لم يستثن أحدا لا الملوك ولا الرؤساء، ولا الأغنياء، ولا الفقراء، ولا الأحرار، ولا العبيد، ولا الذكور ولا الإناث. فـ " أل " في الإنسان للاستغراق، كل بني آدم في خسر؛ أي في خسارة وهلاك إذا ضيعوا هذا الوقت الثمين، واستعملوه في معصية الله، وفيما يضرهم.وهذا الوقت الذي هو رخيص عند كثير من الناس يطول عليهم الوقت يملون ويقولون: نريد قتل الوقت، يأتون بالملهيات.

أو يسافرون للخارج لقضاء العطلة والوقت، أو يضحكون ويمزحون لقطع الوقت، فهؤلاء الذين قطعوه وضيعوه سيكون خسارة وندامة عليهم يوم القيامة، وهو مصدر سعادتهم لو حافظوا عليه.

فجميع بني آدم في خسارة وهلاك إلا من اتصف بأربع صفات هي: العلم، والعمل، والدعوة إلى الله، والصبر على الأذى.

فمن اتصف بهذه الصفات الأربع نجى من هذه الخسارة.

ولا يمكن الإيمان بالله إلا بالعلم الذي هو معرفة الله.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ : أي عملوا الأعمال الصالحة من واجبات ومستحبات، فاستغلوا وقتهم بعمل الصالحات بما يفيدهم في دينهم ودنياهم، حتى العمل للدنيا فيه خير وفيه أجر إذا قصد به الاستعانة على الطاعة، فكيف بالعمل للآخرة، المهم أنك لا تضيع الوقت بل تستعمله في شيء يفيدك وينفعك.

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ : أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ودعوا إلى الله ﷻ وعلموا العلم النافع، ونشروا العلم والخير في الناس أصبحوا دعاة إلى الله ﷻ. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ : صبروا على ما ينالهم، والصبر في اللغة: الحبس، والمراد به هنا: حبس النفس على طاعة الله.

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: صبر على طاعة الله.

الثاني: صبر عن محارم الله.

الثالث: صبر على أقدار الله.

فالأول: صبر على طاعة الله، لأن النفس تريد الكسل وتريد الراحة، فلا بد أن يصبرها الإنسان على الطاعة وعلى الصلاة وعلى الصيام وعلى الجهاد في سبيل الله وإن كانت تكره هذه الأمور، يصبرها ويحبسها على طاعة الله.

والثاني: صبر على محارم الله، النفس تريد المحرمات والشهوات، تميل إليها وتنزع إليها، فلا بد أن يربطها ويحبسها عن المحرمات، وهذا يحتاج إلى صبر،

وليس من السهل منع النفس عن الشهوات المحرمة، من ليس عنده صبر فإن نفسه تتغلب عليه وتجنح إلى المحرمات.

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة: المصائب التي تصيب الإنسان من موت قريب، أو ضياع مال، أو مرض يصيب الإنسان، لا بد أن يصبر على قضاء الله وقدره لا يجزع ولا يتسخط بل يحبس اللسان عن النياحة والتسخط ويحبس النفس عن الجزع، ويحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب. هذا هو الصبر على المصائب. اهـ

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لوما أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السورة لكفتهم[١].

قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله: هو محمد بن إدريس القرشي، الإمام الشهير،ولد سنة (١٥٠هـ) المتوفى سنة (٢٠٤هـ)، رحمه الله تعالى.

لعظم شأنها مع غاية اختصارها، لو فكر الناس فيها لكفتهم، لجمعها للخير بحذافيره، فإنها دلت على العلم والعمل، الدعوة إلى الحق، والصبر على الأذى فيه، فتضمنت جميع مراتب الكمال الإنساني، فهي حقيقة بأن يقال فيها ما قاله

---

(١) قال شيخنا يحيى حفظه الله: هذا القول الذي ينقل عن الشافعي ليس بصحيح عنه وهو قول منكر،وإنما المنقول عنه كما ذكره إبن كثير في تفسيره عن الشافعي بلفظ "لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم" وذكر إبن القيم في -التبيان و في مفتاح دار السعادة وفي عدة الصابرين- عن الشافعي بلفظ "لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم". اهـ شرح الأصول الثلاثة ص(١١)

- قال شيخنا محمد باجمال الحضرمي حفظه الله في كتابه (زبدة المقول على ثلاثة الأصول): "وَمما يدل على عدم ثبوتها بهذا اللفظ الذي أورده المؤلف: نكارة لفظها؛ لأن هذه السورة لم تجمع أحكام الفقه من طهارة وصلاة وزكاة وصيام و حج، فكيف كفتهم؟!."اهـ
- قال الإمام النووي رحمه الله في رياض الصالحين تحت باب: التعاون على البر والتقوى قال الإمام الشافعي رحمه الله كلاما معناه: "إن الناس أو أكثرهم في غفلة عن تدبر هذه السورة" اهـ..
- قال شيخنا أبو عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله: هذا القول أصح و أقدم مَن ذكره هذا القول ولم نر إسنادا عن الشافعي ولا يلزم أنه لا يصح إلا إذا كان له إسناد بل هؤلاء الأئمة كلامهم إذا وجد فيه مصدر ذكره إمامٌ يكفي. اهـ من درس تفسير ابن كثير: سورة البقرة (٢٣-٢٤)، ٢٠-رجب-١٤٤٠هـ

هذا الإمام الجليل.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: هو كما قال، فإن الله أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحا، ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر.

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ: وليس معنى كلام الشافعي أن هذه السورة تكفي الناس، لو ما أنزل الله غيرها؛ لكنها أقامت الحجة عليهم لأن الله بين فيها أسباب السعادة وأسباب الشقاوة، فلا أحد يوم القيامة يقول: أنا لا أعرف أسباب السعادة ولا أعرف أسباب الشقاوة وهو يقرأ هذه السورة المختصرة الوجيزة.اهـ

وَقَالَ البُخَارِيُّ ﵀ تعالى (بَابُ) " العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، والدليل قوله تعالى: [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ] [محمد: ١٩]. فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

قال العلامة الفوزان حفظه الله: البخاري: هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، نسبة إلى بخارى بلدة في المشرق، إمام أهل الحديث وجبل الحفظ – ﵀ –، صاحب الصحيح الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله.

قوله﵀: العلم قبل القول والعمل؛ لأن العمل لا ينفع إلا إذا كان مبنيا على علم، أما العمل المبني على جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل يكون وبالًا وضلالًا عليه يوم القيامة، فلا بد أن يقدم تعلم العلم قبل العمل. اهـ

والدليل قوله تعالى: [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ] [محمد: ١٩]. فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ (١) .

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم ﵀: استدل المصنف ﵀ بهذه الآية الكريمة على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل، كما استدل بها البخاري ﵀ على صحة ما ترجم به، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بأمرين: بالعلم ثم بالعمل، والمبدوء به العلم في قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فدل على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة

---

(١) قوله(فبدأ بالعلم) انتهى كلام الإمام البخاري رحمه الله وأما قوله (قبل القول والعمل) فليس مِن كلام البخاري، ولعل المصنف كتبه من حفظه، أو أنه ذكره شرحا، وإيضاحا. (زبدة المقول).

العمل، وان العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبر إلا به، فهو مقدم عليهما، لأنه مصحح النية المصححة للعمل.

حيث قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، ثم قال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ ، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم. اهـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الثلاث المسائل

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

(اعلَمْ) رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ علَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِلِ والْعمَلُ بِهِنَّ.

(الأُولَى) أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا - فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦]

(الثَّانِيَةُ) أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه في عبادته أحد لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] .

(الثَّالِثَةُ) أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يجوز له موالاة من حاد اله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

(اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن).

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ : **قوله: (اعلم):** هذه الكلمة قلنا فيما سبق أنها كلمة يؤتى بها للاهتمام بما بعدها ومعناها: تعلم وافهم وتيقن.

قوله: (رحمك الله): هذا دعاء لك بالرحمة، وهذا أيضًا كما سبق في أن المعلم ينبغي أن يتلطف مع المتعلم، وأن يدعو له ويرغبه فإن هذا من أعظم وسائل التعليم، ولا ينبغي له أن يقابل المتعلم بالقسوة والشدة والغلظة؛ لأن هذا ينفر عن العلم، ثم هذا أيضًا يدل على النصح من الشيخ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وأنه يريد النصيحة والمنفعة والتوجيه السديد.

(أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مسلم ومسلمة)

مكلف من ذكر وأنثى، حر وعبد، وجوباً عيناً، يعاقب المرء على تركه.

(تعلم ثلاث هذه المسائل والْعَمَلُ بِهِنَّ)

أي: معرفتها، واعتقاد معانيهن، والعمل بمدلولهن، فإن العمل هو ثمرة العلم. اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

(الأُولَى) أنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

(أنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا) أي: أوجدنا بعد أن لم نكن شيئاً لعبادته، ورزقنا النعم لنستعين بها على ما خلقنا له.

(وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا) أي: مهملين معطلين سدى، شبه البهائم لا نؤمر ولا ننهى، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ [القيامة: ٣٦]

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]

(بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً) هو محمد ﷺ، أرسله بالهدى ودين الحق، وهذا أصل عظيم من أصول الدين يجب علينا معرفته، واعتقاده، والعمل بمقتضاه.

(فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجنَّةَ) لأن طاعته طاعة لله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] ، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢] .

(وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ) أعاذنا الله منها ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] وقد أمرنا الله بطاعته ونهانا عن معصيته في غير موضع من كتابه.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا

إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا - فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦].

(فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا) أي -شديداً مهلكاً.

قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾ [غافر: ٤٦]، أي يعرضون عليها في البرزخ يعذبون بها ﴿غدواً﴾ أول النهار ﴿وعشياً﴾ آخره ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فهذه عاقبة العاصين للرسل، وجزاء المخلفين لأمرهم، أي: فاحذروا أنتم أيها الأمة أن تعصوا نبيكم محمد ﷺ فيحل بكم، كما حل بهم من عقاب الله وأليم عذابه في الدنيا والبرزخ في الآخرة، نعوذ بالله من ذلك. وفي القرآن آيات كثيرة في بيان سعادة من أطاع الرسل وشقاوة من عصاهم.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

(الثَّانِيَةُ) أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه في عبادته أحد لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا] [الجن: ١٨].

(أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه في عبادته أحد)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ: هذه المسألة متعلقة بالمسألة الأولى لأن الأولى: هي بيان وجوب عبادة الله

واتباع الرسول ﷺ وهو معنى الشهادتين معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله، والمسألة الثانية: أن العبادة إذا خالطها شرك فإنها لا تقبل؛ لأنه لا بد أن تكون العبادة خالصة لوجه الله عَزَّ وَجَلَّ.

فمن عبد الله وعبد معه غيره فعبادته باطلة، وجودها كعدمها، لأن العبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص والتوحيد

فإذا خالطها شرك فسدت كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] . فالعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا خالط الشرك العبادة أفسدها، كما أن الطهارة إذا خالطها ناقض من نواقض الوضوء أفسدها وأبطلها، ولهذا يجمع الله في كثير من الآيات بين الأمر بعبادته والنهي عن الشرك.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] . وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] ، وقال – ﷻ –: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

قولهُ: (لا ملك مقرب ولا نبي مرسل) :

الملك المقرب هو أفضل الملائكة مثل: جبريل – عليه السلام –، وحملة العرش ومن حوله، والملائكة المقربون من الله – سبحانه وتعالى –، فمع قرب المكان من الله – ﷻ – وقرب العبادة والمكانة عند الله، لو أشركهم أحد مع الله في العبادة فإن الله لا يرضى بأن يشرك معه ملك مقرب ولا نبي مرسل كمحمد ﷺ وعيسى ونوح وإبراهيم أولي العزم.

لا يرضى أن يشرك معه أحد ولو كان من أفضل الملائكة، ولو كان من أفضل البشر.فهو لا يرضى أن يشرك معه أحد من الملائكة ولا من الرسل، فكيف بغيرهم من الأولياء والصالحين، فغير الملائكة والرسل من باب أولى لا يرضى الله بإشراكهم معه في العبادة.

وهذا رد على أولئك الذين يزعمون أنهم يتخذون الصالحين والأولياء شفعاء عند الله ليقربوهم عند الله زلفى، كما قال أهل الجاهلية: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] . وإلا فهم يعتقدون أن هؤلاء لا يخلقون ولا يرزقون ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورا؛ وإنما قصدهم التوسط عند الله – ﷻ –؛ ولذلك صرفوا لهم شيئًا من العبادة تقربًا إليهم، ذبحوا للقبور، ونذروا للقبور، واستغاثوا وهتفوا بالأموات.اهـ

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ :

أي: وأن المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله، أو أعضاء السجود لله فلا تعبدوا، نهي عام لجميع الخلق الإنس والجن فيها، أو بها مع الله أحداً.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ:

(الثَّالِثَةُ) أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يجوز له موالاة[1] من حاد الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]

(أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يجوز له موالاة من حاد الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)

---

(١) الموالاة تنقسم إلى كبرى وصغرى أو تولي وموالاة.

فالكبرى أو التولي هي: مودة ومحبة الكافرين و محبة دينهم والفرح بانتصارهم وظهورهم على الإسلام والمسلمين، وهذا يعتبر صاحبه كافرا كفرا أكبر، وإذا كان من مسلم فهو ردة.

والصغرى أو الموالاة هي: إظهار محبة الكفار لمصلحة دنيوية مع أنه لا يحبهم ولا يفرح بانتصارهم وظهورهم على الإسلام والمسلمين. فهذا محرم ومعصية وليس كفرا.

وموضع بسط المسألة في الناقض الثامن من نواقض الإسلام انظر "**شرح صالح آل الشيخ و زبدة المقول**". وسئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهم الله: عن الفرق بين الموالاة، والتولي؟

فأجاب: التولي كفر يخرج من الملة والموالاة: كبيرة من كبائر الذنوب "**الدرر السنية في الأجوبة النجدية**" (١/٤٢٢).

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

هذه مسألة الولاء والبراء وهي تابعة للتوحيد، من حقوق التوحيد الولاء لأولياء الله والبراء من أعداء الله، والموالاة والولاء بمعنى واحد، والولاء يراد به المحبة بالقلب، ويراد به المناصرة والمعاونة.

والمحادة معناها: أن يكون الإنسان في جانب، والله ورسوله والمؤمنون في جانب، ويكون المحاد في جانب الكفار هذه هي المحادة.

قوله ﵀ : ﴿ولو كان أقرب قريب﴾: أي نسبًا، فإذا كان قريبك محادا لله ورسوله فيجب عليك محادته ومقاطعته، ومن كان وليا لله ورسوله وجب عليك أن تحبه وتواليه، ولو كان بعيدًا من النسب عنك، لو كان أعجميا أو أسود أو أبيض أو أحمر يجب عليك أن تواليه وأن تحبه سواء كان من بلدك أو من أقصى الشرق أو من أقصى الغرب، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] ، أي: بينهم المحبة والتناصر والتعاون، وبينهم الألفة هذا بين المؤمنين.اهـ

قال العلامة ابن عثيمين ﵀:

لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئا هو عدو لمحبوبه.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى:لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللهُ:

وظهر بهذا أنه يجب على كل مسلم مقاطعة المشركين ومنابذتهم.

﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾: أي: قواهم بنصر منه، ونور قلوبهم بالإيمان والقرآن وحججه، وسمى نصره إياهم روحاً.

﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

وهذا أعلى مراتب النعيم وفيه سر بديع، وهو أنهم لما أسخطوا القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضى عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم والفضل العميم.

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الموالون أولياء الله، المصارمون أعداء الله هم ﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾ وأنصاره في أرضه، وعباده المقربون، وأهل كرامته.

﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الفائزون في الدنيا والآخرة، الناجون يوم القيامة.اهـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحنيفية

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

(اعلَمْ) أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ؛ وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] [الذاريات: ٥٦] وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا] [النساء: ٣٦]

(اعلَمْ-أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ)

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله :

هداك ووفقك لما ينفعك في دنياك وآخرتك، والرشد: الاستقامة على طريق الحق، ضد الغي.

(أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)

أي: الحنيفية طريقة وشريعة الخليل إبراهيم وجميع الأنبياء عليهم السلام،

هي ما قررها به المصنف أن تعبد الله مخلصاً له الدين، فهذه هي حقيقة ملة إبراهيم عبادة الله بالإخلاص، والإخلاص: حب الله وإرادة وجهه، وعبادة الله بالإخلاص وترك ما سواه هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] ، وفي قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠] .

والحنيف: مشتق من الحنف، وهو الميل. فالحنيف: المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد، والحنيف: المستقيم المستمسك بالإسلام، المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه، وكل من كان على دين إبراهيم عليه السلام.اهـ

(وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا)

قال العلامة الفوزان حفظه الله:

قوله: وبذلك أمر الله: الإشارة ترجع إلى قوله: أن تعبد الله مخلصا له الدين، أي وبعبادة الله مخلصا له الدين أمر الله جميع الخلق، أمر الله جميع الناس عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، كل الناس من عهد آدم إلى آخر بشر في الدنيا، كلهم أمرهم الله بعبادته مع الإخلاص في العبادة،اهـ

(كَمَا قَالَ تَعَالَى: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ])

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رحمهما الله:

أي: ما أوجد سبحانه وتعالى الثقلين إلا لحكمة عظيمة، وهذه الحكمة العظيمة هي عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، وأفادت أن الخلق لم يخلقوا عبثاً ولم يتركوا سدىً.

(يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ)

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عباس: كل موضع في القرآن ﴿اعبدوا الله﴾ فمعناه: وحدوا الله

(وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.)

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التوحيد لغة: مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحدا وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له فمثلا نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده.

وفي الاصطلاح: عرفه المؤلف بقوله: "التوحيد هو إفراد الله بالعبادة" أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئا، لا تشرك به نبيا مرسلا، ولا ملكا مقربا ولا رئيسا ولا ملكا ولا أحدا من الخلق، بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيما، ورغبة ورهبة، ومراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل به الإخلال من أقوامهم.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به".

وأنواع التوحيد ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية وهو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك والتدبير، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [سورة الزمر، الآية: ٦٢] وقال تعالى: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو﴾

[سورة فاطر، الآية: ٣]

وقال تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ [سورة الملك، الآية: ١] وقال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٤].

الثاني: توحيد الألوهية وهو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن، لا يتخذ الإنسان مع الله أحدا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو: إفراد الله تعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل [1].

ومراد المؤلف هنا توحيد الألوهية وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دمهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم،، واكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد. قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله﴾ [سورة النحل، الآية: ٢٩].

فالعبادة لا تصح إلا لله ﷻ، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

فلو فرض أن رجلا يقرأ إقرارا كاملا بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات

---

(١) قال ابن عثيمين رحمه الله فالواجب: أن نؤمن بما وصف الله وسمى به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. هكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم.

ولكنه يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قربانا يتقرب به إليه فإنه مشرك كافر خالد في النار قال الله تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٢] وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]

أعظم ما نهى الله عنه الشرك؛ وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله ﷻ فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق هو توحيد الله ﷻ قال الله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٣] وقال تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨] وقال ﷻ: ﴿ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٢] وقال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [سورة النساء الآية: ٤٨] وقال النبي ﷺ: «أعظم الذنب أن تجعل لله ندا وهو خلقك».

وقال ﷺ فيما رواه مسلم عن جابر، رضي الله عنه: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار».

وقال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعوا من دون الله ندا دخل النار» رواه البخاري واستدل المؤلف رحمه الله تعالى لأمر الله تعالى بالعبادة ونهيه عن الشرك

بقوله ﷻ: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٦] فأمر الله سبحانه وتعالى بعبادته ونهى عن الشرك به، وهذا يتضمن إثبات العبادة له وحده فمن لم يعبد الله فهو كافر مستكبر، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو كافر مشرك، ومن عبد الله وحده فهو مسلم مخلص.

والشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

فالنوع الأول: الشرك الأكبر وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمنا لخروج الإنسان عن دينه.

النوع الثاني: الشرك الأصغر وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة.وعلى الإنسان الحذر من الشرك أكبره وأصغره فقد قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ [سورة النساء: ٤٨] .اهـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصول الثلاثة

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فإذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

فقل: معرفة العبد ربه، ودينه ونبيه محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فإذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

والدليل قوله تعالى: [الحمد لله رب العالمين] [الفاتحة: ٢]،

وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم.

الأصل الأول-معرفة العبد ربه

(فإذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

قوله: الأصول: جمع أصل، والأصل ما يبنى عليه غيره، والفرع ما يبنى على

غيره، فهذه سميت بالأصول، لأنها يبنى عليها غيرها من أمر الدين؛ فلذلك سميت أصولا لأنها يبنى عليها أمر الدين. وكل الدين يدور على هذه الأصول الثلاثة.اهـ

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

الأصول: جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، قال الله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٢٤].

وهذه الأصول الثلاثة يشير بها المصنف رحمه الله إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره:

من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

أورد المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسألة بصيغة السؤال؛ وذلك من أجل أن ينتبه الإنسان لها؛ لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة.اهـ

(فقل: معرفة العبد ربه، ودينه ونبيه محمدا ﷺ) (١) .

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله:

---

(١) قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله: "وهذه الأمور الثلاثة جاءت في الحديث الذي في صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً»". شرح الأربعين النووية-(ج٥ ص٧).

معرفة العبد ربه؛ أي: بما تعرف به إليه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ومن وحدانيته، وأسمائه، وصفاته، وهذا أصل الأصول، فيجب علينا أن نعرفه على بصيرة ويقين.

ودينه؛ الذي تعبدنا به، وهو فعل ما أوجب علينا أن نفعله، وترك ما أوجب علينا أن نتركه، وهذا أصل عظيم فيجب علينا معرفته.

ونبيه محمدا ﷺ؛ فإنه الواسطة بيننا وبين الله ﷻ، ولا طريق لنا إلى ما تعبدنا به إلا بما جاء به ﷺ ، وهو وإن كان بشرا فأهمية معرفته من أهمية معرفة مرسله وما أرسل به.

وذكر المصنف رحمه الله هذه الأصول الثلاثة مجملة، ثم ذكرها بعد ذلك مفصلة أصلا أصلا، تتميما للفائدة، وتنشيطا للقارئ، فإنه إذا عرفها مجملة وعرف ألفاظها وضبطها بقي متشوقا إلى معرفة معانيها، وهي المقصود بهذه النبذة وما تقدمها من المسائل.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

فإذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه (١)، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

والدليل قوله تعالى: [الحمد لله رب العالمين] [الفاتحة: ٢]

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله:

هذا مشروع في تفصيل الأصول الثلاثة التي تقدمت مجملة، ذكرها هنا مفصلة، فكأنه قال: الأصل الأول من أصول الدين الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها.

إذا قال لك قائل: من ربك؟ أي: من خالقك ورازقك ومعبودك الذي ليس لك معبود سواه؟

فقل ربي هو إلهي خالقي ومالكي ومعبودي الذي أوجدني من العدم، ورباني بالنعمة الظاهرة والباطنة.

أوجدهم من العدم وغذاهم بالنعم، ونعم الله لا تحصى، كما في قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [النحل: ١٨] ، فلله نعمة الإيجاد، ونعمة

---

(١) **قال صالح آل الشيخ في شرحه:** وأعظم أنواع التربية التي ربى بها الله عز وجل الناس أن بعث لهم الرسل يعلمونهم ويرشدونهم إلى ما يقربهم إلى الله عز وجل وهذه هي أعظم نعمة. اهـ

فائدة: واسم الرب لا يجوز إطلاقه إلا على الله تعالى، وأما غيره فبدون الألف واللام،كأن تقول: رب الأسرة، رب البيت ونحوه فيجوز. (زبدة المقول).

التغذية، وسائر نعمه الظاهرة والباطنة.

قال تعالى: ﴿هل أتى على الأنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ [الإنسان:١] أي: مضى عليه زمن طويل من العصور والدهور لم يكن فيها شيئا مذكورا، أي: موجودا بل معدوما وإنما أوجده الله من العدم ورزقه من النعم، ليعبده وحده.

(وهو معبودي ليس لي معبود سواه)

أي: هو وحده مألوهي لا غيره، كما انه سبحانه وتعالى المنفرد بالخلق والرزق والتدبير، فهو وحده المستحق بأن يعبد وحده دون سواه، وهذا مدلول كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) .

(والدليل قوله تعالى: [الحمد لله (١) رب العالمين] [الفاتحة: ٢])

الحمد: هو الثناء على المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، والاسم الشريف علم على ربنا تبارك وتعالى لا يسمى به سواه، والرب المليك والسيد، ولا يطلق إلا على الله تعالى، ورب مضاف، والعالمين مضاف إليه، والمراد: جميع المخلوقات. وهذه الآية هي أول آية في المصحف بعد البسملة في أول سورة، وآخر دعوى أهل الجنة، وفيها تفرده بجميع الخلق وربوبيتهم

---

(١)الحمد لله رب العالمين- معنى : (الحمد) أي: كل حمد؛ لأن الألف و اللام هنا للاستغراق.
فهذا الحمد وهو الثناء بصفات الكلام لله. واللام في قوله (لله) للاستحقاق، أي: مستحَقا لله (والحمد لله) أي: كل أنواع الحمد وجميع أنواع المحامد مستحقة لله. اهـ (شرح صالح آل الشيخ).

وملكهم،وتصرفه فيهم بما يشاء، وهو معبودهم ليس لهم معبود سواه. اهـ

(وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

ثم بيّن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وجه الاستدلال بهذه الآية.

فقوله: وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم: فيكون الله ربي؛ لأن الله رب العالمين، وأنا واحد من العالمين، فيكون الله ربي، فلا أحد يستطيع أن يقول: أنا لي رب غير رب العالمين، لا الكافر ولا المسلم، هذا لا يمكن أبدا، ولا يقوله عاقل.

هذا دليل على ربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ وما دام أنه رب العالمين فهو المستحق للعبادة، وهذا يبطل عبادة غيره سبحانه وتعالى، ولذلك قال بعدها: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥].

وهذا يفيد الحصر، لأن تقديم المعمول - إياك - وتأخير العامل - نعبد - يدل على الحصر، فإياك نعبد يختلف عن نعبدك، لأن نعبد هذا إثبات فقط، لكن إياك نعبد يتضمن النفي والإثبات، أي لا نعبد غيرك، والعبادة لا تصح إلا مع النفي والإثبات، وهو معنى لا إله إلا الله، فيها نفي وإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله، وإثباتها لله عَزَّ وَجَلَّ. اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

فإذا قيل لك : بم عرفت ربك؟

فقل: بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما،

الدليل قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

(فإذا قيل لك : بم عرفت ربك؟)

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

أي: فإذا قال لك قائل: بما استدللت على معرفتك ربك ومعبودك وخالقك؟

(فقل: بآياته ومخلوقاته)

أي: فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته التي نصبها دلالة على وحدانيته وتفرده بالربوبية والإلهية، والآيات: جمع آية، والآية: العلامة والدلالة والبرهان والحجة.

والمخلوقات:جمع مخلوق وهو ما أوجد بعد العدم، وآيات الرب سبحانه

هي دلالاته وبراهينه التي بها يعرفه العباد، ويعرفون أسمائه وصفاته وتوحيده وأمره ونهيه، وآياته العيانية الخلقية، والنظر فيها، والاستدلال بها يدل على ما تدل عليه آياته القولية والسمعية، والرسل تخبر عنه بكلامه الذي تكلم به وهو آياته القولية.

ويستدلون على ذلك بمفعولاته التي تدل تشهد على صحة ذلك، وهي آياته العيانية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، فيجزم بصحة ما جاءت به الرسل، فتتفق شهادة السمع والبصر، والعقل والفطرة، وكل شيء من آياته ومخلوقاته دال على وحدانيته وتفرده بالربوبية، كما قال الشاعر:

فيا عجبا كيف يعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة	وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد

(قوله: ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

فالآيات على قسمين:

آيات كونية تشاهد مثل السماوات والأرض والنجوم والشمس والقمر والجبال والشجر والبحار، سميت آيات، لأن بها دلالات على خالقها سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: الآيات القرآنية التي تتلى من الوحي المنزل على الرسول -

ﷺ - هذه كلها أدلة على وجود الرب سبحانه وتعالى، وعلى كماله وصفاته وأسمائه، وعلى أنه مستحق للعبادة وحده لا شريك له، كلها تدل على ذلك، الآيات الكونية والآيات القرآنية.

الآيات الكونية تدل على خالقها وموجدها ومدبرها، والآيات القرآنية فيها الأمر بعبادة الله، وفيها تقرير توحيد الربوبية، والاستدلال به على توحيد الألوهية، والأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى، كل القرآن يدور على هذا المعنى، وأنزل من أجل هذا المعنى.

فالليل والنهار مستمران، لم يتعطل أحد فيهما، بينما صناعة الخلق تتعطل وتخرب وتفنى، وإن كانت قوية أو ضخمة.

كم تشاهدون من السيارات المرمية والطائرات والبواخر، مع أنها قوية ومعتنى بها، لكنها تخرب وتتعطل، هل تعطل الليل أو تعطل النهار؟ لأن صانعه قدير حكيم - جل وعلا -: ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ [النمل: ٨٨] .اهـ

(والدليل قوله تعالى: [ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون] [فصلت: ٣٧])

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله:

أي: ومن حجج وحدانيته تعالى، وبراهين فردانيته الدالة على ما ذكره المصنف، ما تعرف به تعالى إلينا بما نراه من مخلوقاته، ومنها الليل والنهار، فمجيء هذا وذهاب هذا من دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته،

والشمس والقمر مخلوقان مسخران دائبان يجريان دالان على تفرده تعالى بالخلق والتدبير. وهذا وجه استدلال المصنف بالآية هنا.

(لا تسجدوا للشمس ولا للقمر)

لأن السجود عبارة عن نهاية التعظيم، والشمس والقمر مخلوقان متصرف فيهما، يعتريهما التغير فلا يستحقان أن يسجد لهما.

(واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون)

أمر عباده أن يفردوه بالعبادة وحده، فكما أنه المتفرد بخلق الليل والنهار والشمس والقمر، وسائر المخلوقات، فهو المستحق أن يعبد وحده لا شريك له.اهـ

وقوله تعالى:[إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين] [الأعراف: ٥٤]

قال العلامة الفوزان حفظه الله:

﴿إن ربكم﴾: أي خالقكم ومربيكم بالنعم.

﴿الله﴾: لا غيره سبحانه وتعالى.

ثم ذكر الدليل على ذلك فقال: ﴿الذي خلق السماوات والأرض﴾ [الأعراف: ٥٤] . هذا هو البرهان على ربوبية الله - عز وجل - أنه خلق السماوات والأرض، ولا أحد خلق شيئا منهما، ولا أحد أعانه سبحانه وتعالى على ذلك، بل هو المنفرد بخلقه

﴿خلق السماوات والأرض﴾ هل أحد من المشركين أو الملاحدة عارض هذا وقال: ما خلق الله السماوات والأرض، الذي خلقها هو فلان، أو أنا الذي خلقتها، أو خلقها الصنم الفلاني؟ هل قال هذا أحد من العالم قديما وحديثا، مع أن هذه الآية تتلى ليلا ونهارا؟ ولا أحد عارض فيها، ولا يستطيع أن يعارض أبدا.

﴿في ستة أيام﴾: هذه المخلوقات الهائلة العظيمة خلقها الله في ستة أيام، وهو قادر على أن يخلقها في لحظة، ولكنه خلقها في ستة أيام لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى.

﴿ثم استوى على العرش﴾

حرف عطف وترتيب، أي أن استواءه على العرش جاء بعد خلق السماوات والأرض، لأنه من صفات الأفعال التي يفعلها الله متى شاء.

ومعنى استوى: ارتفع وعلا. العرش: هو سقف المخلوقات.

وهو في اللغة: السرير، وهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو أعظم المخلوقات وأعلى المخلوقات.

الاستواء: صفة من صفات الله الفعلية كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، ليس كاستواء المخلوق على المخلوق، وليس هو بحاجة إلى العرش؛ لأنه هو الذي يمسك العرش.

﴿يغشي الليل النهار﴾ يغشي الليل بالنهار، ويغطي النهار بالليل، فبينما ترون الكون مضيئا يغطيه الليل فيصبح مظلما، والليل يغطيه النهار فيصبح

مضيئا.

﴿يطلبه حثيثا﴾

يأتي هذا بعد هذا مباشرة ولا يتأخر، فإذا أدبر الليل جاء النهار، وإذا أدبر النهار جاء الليل مباشرة لا يتأخر هذا عن هذا، وهذا من كمال قدرته سبحانه وتعالى.

[والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره]

يقولون: إن الشمس ثابتة والأرض تدور عليها هذا عكس ما في القرآن. . . ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ [يس: ٣٨] . وهم يقولون: الشمس ثابتة، يا سبحان الله!

والنجوم: هي الكواكب، مسخرات بأمره: مسخرات في الجريان والدوران دائما لا يفترن، وهذا رد على الذين يعبدون الشمس والقمر والكواكب بأنها مسخرة بأمر الله مأمورة، الله الذي يجريها، والله الذي يوقفها إذا شاء سبحانه وتعالى، فهي مسخرة مدبرة ليس لها من الأمر شيء.

﴿ألا له الخلق والأمر﴾

ألا: أداة تنبيه وتقرير. له: سبحانه وتعالى لا لغيره.

الخلق: وهو الإيجاد، فهو القادر على الخلق إذا أراد سبحانه وتعالى يخلق ما شاء. اهـ

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهو المتفرد بالخلق، كما انه التفرد بالأمر، فلا شريك له في الخلق، كما انه لا

شريك له في الأمر، له الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢].

﴿تبارك الله رب العالمين﴾

أي: بلغ في البركة نهايتها، إله الخلق ومليكهم، وموصل الخيرات إليهم، ودافع المكاره عنهم، والمتفرد بإيجادهم وتدبيرهم، لا إله إلا هو ولا رب سواه.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب ﵀ :

والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى: [يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون - الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون] [البقرة: ٢١ - ٢٢]

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

قولهُ : والرب هو المعبود: أي هو الذي يستحق العبادة، وأما غيره فلا يستحق العبادة، لأنه ليس ربا، هذا وجه كلام الشيخ - ﵀ - بقوله: الرب هو المعبود أي: هو الذي يستحق العبادة، ثم أيضا لا يكفي أن الإنسان يقر بالربوبية، بل لا بد أن يقر بالعبودية لله سبحانه وتعالى، ويفعلها مخلصا له سبحانه وتعالى، فما دام أقر أنه الرب فإنه يلزمه أن يقر أنه هو المعبود، وأن غيره لا يستحق شيئا من العبادة، والدليل على أن العبادة خاصة بالرب

قوله تعالى:[يا أيها الناس]

هذا نداء من الله لجميع الناس، المؤمنين والكفار

﴿ اعبدوا ﴾

فعل أمر، أي أخلصوا له العبادة، لماذا؟ لأنه ربكم، والعبادة لا تصلح إلا للرب سبحانه وتعالى، ثم ذكر الدليل على ذلك وهو

قولهُ: [الذي خلقكم]

والذين من قبلكم: من الأمم كلهم، خلق الله سبحانه وتعالى الملائكة والجن

والإنس، وجميع المخلوقات.

﴿لعلكم تتقون﴾: إذا تدبرتم هذا، فلعل هذا أن يسبب لكم التقوى إذا تدبرتم أنه الذي خلقكم وخلق الذين من قبلكم، لعلكم تتقونه سبحانه وتعالى في عبادته، لأنه لا يقي من عذابه إلا طاعته سبحانه وتعالى، لعلكم تتقون عذابي وتتقون النار، لأنه لا يقيكم منها إلا عبادة ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم.

ثم واصل الاستدلال على ربوبيته وعبوديته سبحانه وتعالى بقوله: ﴿جعل لكم الأرض فراشا﴾

أي: بساطا والله ﴿جعل لكم الأرض بساطا﴾ [نوح: ١٩] . أي مبسوطة، وفراشا، أي: تفترشونها، تنامون عليها، تبنون عليها، تزرعون على ظهورها، تسيرون عليها في سفركم أينما تريدون، فالأرض فراش ومهاد: ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ [الذاريات: ٤٨] لأجل مصالحكم.

﴿والسماء بناء﴾: فالسماء سقف الأرض، وفيها مصالح للعباد ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾.

(قال ابن كثير رحمه الله تعالى: الخالق لهذه الأشياء هوالمستحق للعبادة)[1] .

قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله:

(ابن كثير رحمه الله تعالى) : هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي.

(الخالق لهذه الأشياء هوالمستحق للعبادة)

يعني: أن الآيات دلت على أن الذي خلق هذه الأشياء وأوجدها من العدم على غير مثال سبق وهو المستحق للعبادة وحده دون من لم يكن له شركة فيها ولا في غيرها وإن قل، بل من سواه تعالى وتقدس مخلوق مربوب متصرف فيه، فيكون بذلك أوضح برهان أنه سبحانه هو المستحق أن يعبده وحده دون كل من سواه، لا إله غيره ولا رب سواه.

---

(١) أما بالنسبة لكلامه في تفسيره ليس باللفظ الذي ذكره المؤلف،فلعله كتبه من حفظه أو أراد مضمونه، وإلا فلفظه في التفسير: "أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم،فبهذا يستحق أن يعبد وحده لا يشرك به غيره. اهـ (زبدة المقول).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

(وأنواع العبادة [(١)] التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان، والإحسان.

ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة،والذبح، والنذر، وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها (كلها لله) ، والدليل قوله تعالى: [وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] [الجن: ١٨].

فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر [(٢)] ، والدليل قوله تعالى: [ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون] [المؤمنون: ١١٧] .

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله :

لما بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له، بين فيما يأتي شيئا من أنواع العبادة مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وهذه الثلاثة الإسلام، والإيمان، والإحسان هي الدين كما جاء ذلك فيما

---

(١) (العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.-العبودية-ص٤٤).

(٢) (هذه الجملة هي الظابط في حد الشرك الأكبر- قال العلامة السعدي رحمه الله [في السديد ص:٥٨ ط-الوزارة] "فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: (أن يصرف العبد نوعا من أفراد العبادة لغير الله). فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر.فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء.".

رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر...(الحديث).

(ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة،والذبح، والنذر،وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها كلها لله) أي كل أنواع العبادة مما ذكر وغيره لله وحده لا شريك له فلا يحل صرفها لغير الله تعالى.

والدليل قوله تعالى: [وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] [الجن: ١٨] فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ [المؤمنون: ١١٧] .

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى جملة من أنواع العبادة وذكر أن من صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر واستدل بقوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا﴾ وبقوله: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾.

ووجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى أخبر أن المساجد وهي مواضع السجود أو أعضاء السجود لله ورتب على ذلك قوله: ﴿فلا تدعو مع الله أحدا﴾ أي لا تعبدوا معه غيره فتسجدوا له، ووجه الدلالة من الآية الثانية بأن الله سبحانه وتعالى بين أن من يدعو مع الله إله آخر فإنه كافر لأنه قال: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ .اهـ

(الدعاء)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وفي الحديث «الدعاء مخ العبادة»[(١)] ، والدليل قوله تعالى: [وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين] [غافر: ٦٠]

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

هذا شروع في ذكر أدلة أنواع العبادة التي عدها مجملة، فأما الإسلام والإيمان والإحسان فسيأتي مفصلا في الأصل الثاني، وبدأ بعدها بالدعاء، لأنه أهمها. فقال: وفي الحديث _يعني: عن النبي ﷺ: «الدعاء مخ العبادة»، ومخ الشيء خالصه.

وفي لفظ: «الدعاء هو العبادة»، وأتى ﷺ فيه بضمير الفصل والخبر المعرف بالألف واللام، ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء، وإنما هي الدعاء نفسه، ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.

سمي الدعاء عبادة، وجاء في القرآن في غير موضع أنه عبادة فصرفه لغير الله

---

(١) حديث: «**الدعاء مخ العبادة**» ضعيف.أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه ابن لهيعة وهُو ضعيف،انظر ضعيف سنن الترمذي للإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شرك أكبر، وأخبر تعالى أن الذي منعهم من عبادة الله هو الاستكبار فجوزوا بهذا الجزاء الفظيع وهو دخولهم جهنم صاغرين ذليلين حقيرين، وعقوبة لهم على ما تركوه من عبادة الله التي فرضها عليهم.اهـ

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله : فدلت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة ولولا ذلك ما صح أن يقال: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا. ومن دعا حيا بما يقدر عليه مثل أن يقول يا فلان أطعمني، يا فلان إسقني فلا شيء فيه، ومن دعا ميتا أو غائبا بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا **(فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفا في الكون فيكون بذلك مشركا)**.

وأعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الإفتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق في قوله القائل يا فلان اطعمني.

وأما دعاء العبادة فأن يتعبد به للمدعو طلبا لثوابه وخوفا من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر: ٦٠] .اهـ

(الخوف)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ودليل الخوف قوله تعالى: [فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين] [آل عمران: ١٧٥].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

الخوف هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضررا أو أذى، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

والخوف ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾ [سورة القصص، الآية: ١٨] لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سببا لترك واجب أو فعل محرم كان حراما؛ لأن ما كان سببا لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليل قوله تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٧٥] .

والخوف من الله تعالى يكون محمودا، ويكون غير محمودا.

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب

واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه. وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه.

النوع الثاني: خوف العبادة أن يخاف أحدا يتعبد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

النوع الثالث: خوف السر كأن يخاف صاحب القبر، أو وليا بعيدا عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضا ذكره العلماء من الشرك.اهـ

(الرجاء)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

ودليل الرجاء قوله تعالى: [فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا] [سورة الكهف، الآية: ١١٠]

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله :

الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلا له منزلة القريب. والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل

وصرفه لغير الله تعالى شرك إما اصغر، وإما أكبر؛ بحسب ما يقوم بقلب الراجي. وقد أستدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.

واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.اهـ

(التوكل)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(ودليل التوكل قوله تعالى: [وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين] [سورة المائدة: ٢٣])

وقال: [ومن يتوكل على الله فهو حسبه][سورة الطلاق، الآية: ٣]

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

التوكل هو التفويض والاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وتفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى هذا هو التوكل، وهو من أعظم أنواع العبادة، ولهذا قال: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ قدم الجار والمجرور على العامل ليفيد الحصر.

﴿وعلى الله فتوكلوا﴾ أي: عليه لا على غيره، ثم قال ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فجعل من شرط الإيمان التوكل على الله سبحانه وتعالى، ودل على أن من لم يتوكل على الله فليس بمؤمن، فالتوكل عبادة عظيمة، فالمؤمن دائما يتوكل على الله، ويعتمد على الله عَزَّ وَجَلَّ.

والله من أسمائه الوكيل، أي: الموكول إليه أمور عباده سبحانه وتعالى، فالتوكل لا يكون إلا على الله، ولا يجوز أن يقول: توكلت على فلان؛ لأن التوكل عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله.

أما إذا أسندت إلى أحد من الخلق تصرفا، فهذا لا يسمى توكلا إنما يسمى

توكيلا، والوكالة معروفة أنك توكل أحدا يقضي لك حاجة، وقد وكل النبي ﷺ من ينوبون عنه في بعض الأعمال، فالتوكيل غير التوكل، فالتوكل عبادة لا يكون إلا لله، ولا يجوز أن تقول: توكلت على فلان، وإنما تقول وكلت فلانا.

ثم أيضا لنعلم أن التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، فيجمع المسلم بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، ولا تنافي بينهما، فأنت تعمل الأسباب التي أمرت بعملها، ولكن لا تعتمد على الأسباب، وإنما تعتمد على الله، أنت تزرع الزرع في الأرض، هذا سبب ولكن لا تعتمد على زرعك وفعلك، بل اعتمد على الله في نمو هذا الزرع وتثميره وحمايته وإصلاحه، ولهذا يقول: ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤] فالزارع الحقيقي هو الله أما أنت فقد فعلت سببا فقط قد ينتج هذا الزرع وينبت وقد لا ينتج، وإذا نبت قد يصلح وقد لا يصلح، قد يصاب بآفة، فيذهب.

وقوله: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾

قال العلامة بن عثيمين رحمه الله:

وإذا صدق العبد في اعتماده على الله تعالى. كفاه الله تعالى ما أهمه لقوله تعالى ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي كافيه ثم طمأن المتوكل بقوله: ﴿إن الله بالغ أمره﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٣] فلا يعجزه شيءأراده.

(الرغبة والرهبة والخشوع)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع؛ قوله تعالى: [إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين] [الأنبياء: ٩٠]

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

الرغبة: هي طلب الشيء المحمود.

الرهبة: هي الخوف من الشيء المرهوب، قال تعالى: ﴿ وإياي فارهبون ﴾ [البقرة: ٤٠] وهي نوع من الخوف، الرهبة والخوف بمعنى واحد.

الخشوع: نوع من التذلل لله عَزَّ وَجَلَّ، والخضوع والذل بين يديه سبحانه وتعالى وهو من أعظم مقامات العبادة.

قوله تعالى[إنهم]: الضمير يرجع للأنبياء؛ لأن سورة الأنبياء قد ذكر الله قصص الأنبياء فيها ثم قال: ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾ .

فقوله تعالى: [يسارعون في الخيرات] أي: يتسابقون إليها، ويبادرون إليها، هذه صفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتكاسلون ولا يتعاجزون، وإنما يسارعون إلى فعل الخيرات ويتسابقون إليها.

قوله تعالى: [ويدعوننا رغبا] أي: طمعا لما عند الله عَزَّ وَجَلَّ طمعا في حصول

المطلوب.

قوله تعالى: [ورهبا] أي: خوفا منا، فيدعون الله أن يرحمهم، ويدعونه ألا يعذبهم، وألا يؤاخذهم، وألا يعاقبهم، فهم يطمعون في رحمة الله ويخافون من عذابه، كما قال تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧] فهم يدعون الله خوفا منه، ويدعونه أيضا طمعا فيما عنده، يدعون الله أن يقدر لهم الخير ويدفع عنهم الشر.

﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ أي: خاضعين متذللين متواضعين لله ﷻ فجمعوا بين الصفات الثلاث:

الرغبة والرهبة والخشوع، هذه صفات الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وهذه الأنواع الثلاثة من أنواع العبادة لله ﷻ.

وفيها رد على الصوفية الذين يقولون: نحن لا نعبد الله رغبة في ثوابه ولا خوفا من عقابه، وإنما نعبده محبة له فقط، هذا كلام باطل؛ لأن الأنبياء يدعون الله رغبا ورهبا وهم أكمل الخلق.اهـ

(الخشية)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ :

دليل الخشية قوله تعالى: [فلا تخشوهم] [البقرة: ١٥٠]

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ: **الخشية** نوع من الخوف، وهي أخص من الخوف، وقيل: الخشية: خوف يشوبه تعظيم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ أمر الله سبحانه وتعالى بخشيته وحده.

وقال تعالى في الآية: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فأمر بخشيته سبحانه وتعالى، وقال في صفة المصلين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧] أي: خائفون، هؤلاء خواص الخلق يخافون الله عَزَّ وَجَلَّ، وقال عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

خواص الخلق من الملائكة والرسل والأولياء والصالحين يكونون على غاية عظيمة من خشية الله عَزَّ وَجَلَّ ، والخوف منه سبحانه وتعالى والرهبة منه، فالرهبة والخوف والخشية، كلها بمعنى واحد وإن كان بعضها أخص من بعض، إلا أنها يجمعها الخوف من الله سبحانه وتعالى، وهذه من صفات الأنبياء وعباد الله الصالحين، وهي أنواع عظيمة من أنواع العبادة، وهي من أعمال القلوب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

(الإنابة)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: [وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ][1] [الزمر: ٥٤]

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الإنابة: الرجوع وهي بمعنى التوبة، والتوبة والإنابة بمعنى واحد. ولكن بعض العلماء يقول: الإنابة أخص من التوبة أي: آكد لأنها توبة مع إقبال إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أي: توبة خاصة، والإنسان قد يتوب ويترك الذنب ولا يعود إليه، ويندم عليه، ولكن قد يكون في الإقبال على الله إقبال ضعيف، أما الإنابة فهي إقبال على الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أي: ارجعوا له، وأقبلوا عليه سبحانه وتعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾.

إذا جاء العذاب المهلك الماحق فإنها لا تقبل توبة من تاب عند ذلك: ﴿إِلَّا

---

(١) قال العلامة السعدي في تفسيره: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ بقلوبكم ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ بجوارحكم.

قال صالح آل الشيخ في شرحه- "وهناك دليل خاص في أنه يجب إفراد الله بالإنابة وذلك قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨] ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ إليه وحده لا إلى سواه أنيب، أرجع محبا راجيا خائفا من كل ما سوى الله إلى الله وحده،فلما قدم الجار والمجرور على ما يتعلق به وهو الفعل دل على أن هذه العبادة -وهي الإنابة- مختصة بالله. اهـ(مختصرا).

قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [يونس: ٩٨] هذا مستثنى وإلا فإنه إذا نزل العذاب المهلك فإنها لا تقبل التوبة، ولهذا قال: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾.

فالتوبة والإنابة لها أجل ولهما حد، فهي لا تقبل توبة من غَرْغَرَ أو من حضره الموت، ولا تقبل توبة من نزل به العذاب الماحق المهلك، ولا تقبل التوبة إذا خرجت الشمس من مغربها قبل قيام الساعة، لا تقبل التوبة حينئذ، فالله يحث العبد على التوبة والإنابة قبل انتهاء أجله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾.

الشاهد قوله: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ دل على أن الإنابة نوع من أنواع العبادة؛ لأنه قال: ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ فهذا يدل على أنها نوع من أنواع العبادة.

(الاستعانة)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ودليل الاستعانة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله»)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

الاستعانة: طلب العون، وهي على نوعين:

النوع الأول: الاستعانة بشيء لا يقدر عليه إلا الله، فهذه صرفها لغير الله شرك، من استعان بغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله فإنه قد أشرك؛ لأنه صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

النوع الثاني: الاستعانة فيما يقدر عليه المخلوق، فأنت تستعين بأحد أن يبني معك الجدار، أو أن يحمل معك متاعك، أو أن يعينك على مطلوب مباح، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] فالاستعانة في الأمور العادية التي يقدر عليها الناس، هذا النوع لا بأس فيه؛ لأنه من التعاون على البر والتقوى، وقال صلى الله عليه وسلم: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» أما الاستعانة بالمخلوق في شيء لا يقدر عليه إلا الله؛ مثل جلب الرزق ودفع الضرر، فهذا لا يكون إلا لله، كالاستعانة بالأموات، والاستعانة بالجن والشياطين، والاستعانة بالغائبين، وهم لا يسمعونك تهتف بأسمائهم، هذا شرك أكبر؛ لأنك تستعين بمن لا يقدر على إعانتك. فقوله تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

إياك نعبد: هذا فيه تقديم المعمول على العامل، المعمول إياك في محل نصب، ونعبد هذا هو العامل الذي نصب إياك، وتقديم المعمول على العامل يفيد الحصر.

فمعنى إياك نعبد: أي لا نعبد غيرك، فحصر العبادة في الله ﷻ.

وإياك نستعين: حصر الاستعانة بالله ﷻ وذلك في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى.

وفي قوله: إياك نستعين، براءة من الحول والقوة، وأن الإنسان لا قوة له إلا بالله ولا يقدر إلا بالله ﷻ، وهذا غاية التعبد لله إذا تبرأ من الشرك وتبرأ من الحول ومن القوة فهذا غاية التعبد لله ﷻ.

قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله:

الدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وسر الخلق والكتب والشرائع والثواب والعقاب يرجع إلى هاتين الكلمتين، وعليهم مدار العبودية والتوحيد، والأول: تبرؤ من الشرك، والثاني: تبرؤ من الحول والقوة.

(وفي الحديث: إذا استعنت فاستعن بالله)

قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله:

هذه قطعة من حديث جليل رواه الترمذي وصححه من حديث ابن عباس، أوله "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك" أي: احفظ حدوده وأوامره يحفظك حيث توجهت،"إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"،

وهذا كأنه منتزع من قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وقال تعالى: ﴿واسألوا الله من فضله﴾ [النساء: من الآية٣٢] ولا يحصل للعبد مطلوبه إلا إذا كان سائلا الله مستعينا به وحده، معتمدا عليه في جميع أموره وفي هذا الحديث حصر الاستعانة بالله وحده دون غيره من الخلق، والدلالة على أنها أجل العبادات، وعليها مدار الدين، فإذا استعان أحد بغير الله فهو مشرك الشرك الأكبر.

(الاسْتِعَاذَة)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ] [الفلق: ١] وقوله تعالى: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ] [الناس: ١]

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

الاستعاذة: طلب الالتجاء إلى من يمنعك من محذور تخافه من أجل أن يدفع عنك هذا الشيء، هذه هي الاستعاذة.

والاستعاذة نوع من أنواع العبادة، لا يجوز أن تستعيذ بغير الله عَزَّوَجَلَّ، فمن استعاذ بقبر أو بوثن أو بأي شيء غير الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يكون مشركًا الشرك الأكبر، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

كان العرب في جاهليتهم إذا نزلوا في مكان من الأرض يقول أحدهم: أعوذ بسيد هذا الوادي، أي: كبير الجن، يستعيذ به من شر سفهاء قومه.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبطلًا لذلك ومبينًا لما يشرع بدله: «من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك». هذا هو البديل الصحيح، الاستعاذة بكلمات الله التامات بدلًا من الاستعاذة بالجن.اهـ

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ] [الفلق:١]

أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ بفالق الإصباح من شر جميع المخلوقات، ومن شر الغاسق والحاسد، والفلق: الصبح، وقيل سبب تخصيص المستعيذ به: أن القادر على إزالة هذه الظلمة عن العالم هو القادر أن يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه.

وقوله تعالى: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ] [الناس:١]

أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ به من الوسواس الخناس، يعني: الشيطان الجاثم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس، وذكر تعالى ثلاث صفات من صفاته: الربوبية، والملك، والإلهية. وثبت عنه ﷺ أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأخبر أنه لم يتعوذ متعوذ بمثل هاتين السورتين، والأمر بالاستعاذة به تعالى كثير في الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: من الآية٣٦] ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: من الآية٦٧] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

ومن السنة: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» ، فدل على أن الاستعاذة بالله عبادة من أجلّ العبادات فصرفها لغير الله شرك أكبر.اهـ

(الاستغاثة)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ودليل الاستغاثة: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩])

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ: **الاستغاثة**: هي نوع من أنواع العبادة، وهي طلب الغوث، وهي لا تكون إلا عند الشدة، إذا وقع الإنسان في شدة فإنه يطلب الغوث من الله والنجاة من هذه الشدة.

والاستغاثة على نوعين:

النوع الأول: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ وهذا شرك، فمن استغاث بغير الله من جن أو إنس أو غائبين أو أموات فإن هذا شرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

فالاستغاثة بالأموات وبالغائبين من الشياطين والجن هذا شرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

النوع الثاني: الاستغاثة بالمخلوق الحاضر الحي فيما يقدر عليه، هذا جائز.

قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾

[القصص: ١٥] .اهـ قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ودليله ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً

فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة الإسلام لا تعبد في الأرض**» .

وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم ألتزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك فأنزل الله هذه الآية.

(الذبح)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] . وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لغير الله»

قال العلامة الفوزان حفظه الله:

الذبح على أربعة أقسام:

الأول: الذبح على وجه التقرب والتعظيم لأحد ما، وهذا لا يجوز إلا لله سبحانه وتعالى؛ لأنه من العبادات المالية، فلا يجوز الذبح للجن ولا للشياطين ولا للملوك والرؤساء تعظيمًا لهم؛ لأن هذه عبادة لا تجوز إلا لله عز وجل.

فالذين يذبحون للجن من أجل السلامة من شرهم، أو من أجل شفاء المرضى، كما يفعله الكهان والمنجمون الذين يدعون العلاج ويقولون للناس: اذبحوا كذا لأجل شفاء مريضكم، ولا تذكروا اسم الله عليه، هذا شرك أكبر مخرج من الملة، وهذا الذي قال الله تعالى محذرًا من فعله لغير الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢] أي: واذبح لربك.

الثاني: الذبح من أجل أكل اللحم، هذا لا بأس به؛ لأنه ما ذبح من أجل التقرب والتعظيم لأحد، وإنما ذبح لحاجة، والأكل منه، فهذا لا بأس به؛ لأنه ليس نوعًا من العبادة ويذبح لبيع اللحم.

الثالث: الذبح على وجه الفرح والسرور، بمناسبة زواج أو مناسبة نزول مسكن جديد، أو قدوم غائب، أو ما أشبه ذلك بجمع الأقارب، ويذبح من باب إظهار الفرح والسرور بما حصل له، هذا لا بأس به؛ لأنه ليس فيه تعظيم لأحد ولا تقرب لأحد، وإنما هو من باب الفرح والسرور في شيء حصل.

الرابع: الذبح من أجل التصدق باللحم على الفقراء والمساكين والمعوزين هذا يعتبر سنة وهو داخل في العبادة.اهـ

قوله: **وَمِنَ السُّنَّةِ «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»**.

قال عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله: اللعن: الطرد والإبعاد، والملعون: من حقت عليه اللعنة أو دعي بها عليه، واللعن من الخلق: السب، وقال شيخ الإسلام: "إن الله يلعن من استحق اللعن بالقول، كما يصلي على من استحق الصلاة من عباده، وقال: وما ذبح لغير الله مثل أن يقول: هذه ذبيحة لكذا، وتحريمه أظهر من تحريم ما ذبح للحم، وقال فيه: بسم المسيح أو نحوه، وإذا حرم فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو قصد به أولى".اهـ.

ودل الحديث على أن الذبح عبادة، لأن الله لعن من صرفه لغيره، والعبادة كلها مختصة بالله، فإذا صرفها أحد لغير الله بأن ذبح للأصنام أو للقبور المعبودة من دون الله التماساً لشفاعة أربابها أو للزيران أو للزهرة أو لقدوم سلطان أو نحو ذلك مشرك كافر.

(النذر)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

(ودليل النذر: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧])

النذر (١) : هو إلزام الإنسان نفسه بشيء لم يلزمه بأصل الشرع، كأن ينذر أن يصوم، أو ينذر أن يتصدق بكذا. فيلزمه الوفاء بنذره؛ لقول النبي ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» والنذر نوع من أنواع العبادة لا يجوز إلا لله.

---

(١) **حكم النذر**: النذر نذران - مطلق و مقيد؛ فالمطلق مثل : لله علي أن أصوم يوم كذا أو أن أتصدق بكذا ونحوه بدون مقابلة. هذا نذر محمود ولكن غير مشروع. هذا واجب الوفاء به. وهذا النذر الواجب أثنى الله على أهله بقوله ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾.

والمقيد مثل: لله علي إن شفى مريضي أن أصوم ثلاثة أيام. هذا مكروه لأن فيه المعاوضة وهو شأن البخلاء.

والنذر على أنواع:

١-**نذر طاعة** : ويجب الوفاء به؛ لحديث عائشة في البخاري (٦٦٩٦) أن النبي ﷺ قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصه فلا يعصه» فإن لم يستطع فيجب أن يكفر كفارة يمين لحديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم (١٦٤٥) أن النبي ﷺ قال «كفارة النذر كفارة يمين».

٢-**نذر معصية** : ولا يجوز الوفاء به بدون خلاف؛ لحديث عائشة المتقدم. وأعظمه: النذر الشركي، وهذا لا كفارة فيه لأنه باطل من أصله وإنما يجب التوبة منه. (انظر شرح صالح آل الشيخ و زبدة المقول)..

فمن نذر لقبر أو صنم أو غير ذلك فقد أشرك بالله ﷻ، وهو نذر معصية وشرك، وقد قال النبي ﷺ: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».اهـ

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

وجه الدلالة من الآية أن الله أثنى عليهم لإيفائهم النذر وهذا يدل على أن الله يحب ذلك، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة.اهـ

الأصل الثاني-معرفة دين الإسلام

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ وَهُوَ الاستسلام لله بالتوحيد (١) والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك (٢).

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

لما فرغ الشيخ من بيان معرفة الأصل الأول وهو معرفة الله سبحانه وتعالى بالأدلة، انتقل إلى بيان الأصل الثاني، وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة.

فقال: الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة، ثم عرفه وبين معناه ثم ذكر مراتبه.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (معرفة دين الإسلام)

الدين يراد به الطاعة، يقال: دان له إذا أطاعه فيما أمر وترك ما نهى.

---

(١) قال صالح آل الشيخ: الاستسلام هنا بمعنى الإسلام.

(٢) قال صالح آل الشيخ في شرحه: (والخلوص من الشرك) الصواب أنها (والبراءة من الشرك وأهله) هذا هو الموجود في النسخ المعتمدة. ومن المعلوم أن (والبراءة من الشرك وأهله) أدل على المراد من لفظ (والخلوص من الشرك) لأن الخلوصمن الشرك إنما هو خروج عن الشرك وليس فيه معنى البراءة من الشرك وأهله. وهذا هو الذي يناسب الاستدلال الذي استدل به الشيخ وهو قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} فذكر "البراءة" هو الذي يناسب هذا التعريف..

ويطلق الدين ويراد به الحساب، كما في قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ويقال: دانه إذا حاسبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧، ١٨] أي: يوم الحساب ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

قوله: (بالأدلة)، أي: أن معرفة دين الإسلام لا تكون بالتقليد أو تكون بالتخرص من عند الإنسان، الدين لا بد له من أدلة من الكتاب والسنة، أما الإنسان الذي لا يعرف دينه وإنما يقلد الناس، ويكون إمعة مع الناس فهذا لن يعرف دينه وَحَرِيٌّ به أنه «إذا سئل عنه في القبر أن يقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته»، فواجب على الإنسان أن يعرف دينه بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يعرف هذا إلا بالتعلم.

(وَهُوَ الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك)

الإسلام مأخوذ من أسلم للشيء إذا انقاد له، أسلم نفسه للقتل أي: خضع للقتل، فأسلم نفسه للشيء إذا انقاد له.

فالإسلام هو إسلام الوجه والقصد والنية له ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]. ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] أي أخلص عمله لله ﷻ، وانقاد لله عن طواعية واختيار ورغبة ومحبة.

الاستسلام لله بالتوحيد، وهو إفراد الله جل وعلا بالعبادة، وهذا هو معنى التوحيد، فمن عبد الله وحده لا شريك له فقد استسلم له.

قوله: (والانقياد له سبحانه بالطاعة): فيما أمرك به وما نهاك عنه، فما

أمرك به تفعله، وما نهاك عنه تجتنبه طاعة لله سبحانه وتعالى.

قولهُ: «والبراءة من الشرك وأهله»: البراءة معناها الانقطاع والاعتزال، والبعد عن الشرك وأهل الشرك، بأن تعتقد بطلان الشرك فتبتعد عنه، وتعتقد وجوب عداوة المشركين؛ لأنهم أعداء الله ﷻ فلا تتخذهم أولياء، إنما تتخذهم أعداء؛ لأنهم أعداء لله ولرسوله ولدينه فلا تحبهم ولا تواليهم، وإنما تقاطعهم في الدين وتبتعد عنهم، وتعتقد بطلان ما هم عليه، فلا تحبهم بالقلب ولا تناصرهم بالقول والفعل؛ لأنهم أعداء لربك وأعداء لدينك، فكيف تواليهم وهم أعداء الإسلام؟! .

لا يكفي أنك تستسلم لله وتنقاد له بالطاعة، وأنت لا تتبرأ من الشرك ولا من المشركين، هذا لا يكفي، ولا تعد مسلمًا حتى تتصف بهذه الصفات.

أولًا: **الاستسلام لله بالتوحيد.** ثانيًا: **الانقياد له بالطاعة.**

ثالثًا: **البراءة مما يضاد التوحيد ويضاد الطاعة وهو الشرك.**

رابعًا: **البراءة من أهل الشرك.**

بتحقيق هذه الصفات تكون مسلمًا، أما إذا نقصت صفة واحدة منها فإنك لا تكون مسلمًا، فبهذه الكلمات الثلاث لخص الشيخ تعريف الإسلام، وكم من إنسان لا يعرف معنى الإسلام؛ لأنه لم يتعلم هذا الشيء، ولو قيل له: ما هو الإسلام؟ لم يجب جوابًا صحيحًا.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وهو ثلاث مراتب:

(الإسلام) و (الإيمان) و (الإحسان) ، وكل مرتبة لها أركان.

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المرتبة والرتبة: المنزلة العالية، ورتب الشيء ترتيباً: نظمه وقرن بعضه ببعض.

الإسلام مرتبة ، والإيمان مرتبة، والإحسان مرتبة، وهذه هي مراتب الدين التي بعث بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكرهن هنا مجملة، ثم فصّلهن وبيّن أدلّتهن.

وكل مرتبة من مراتب الدين الثلاثة لها أركان لا تقوم إلا عليها. وأركان الشيء: أجزاؤه في الوجود التي لا يحصل إلا بحصولها، وداخلة في حقيقته، سميت بذلك تشبيهاً لها بأركان البيت الذي لا يقوم إلا بها، فمراتب الدين لا تتم إلا بأركانها، وفي الاصطلاح: عبارة عن جزء الماهية.

مراتب الدين

المرتبة الأولى- الإسلام:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ :

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ (خَمْسَةٌ) شَهَادَةُ أَن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله و(إقام الصلاة) و (إيتاء الزكاة) و (صوم رمضان) و (حج بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ).

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]

ومعناها لا معبود بحق إلا الله وحده، و (لا اله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

(إِلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ. وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ - إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ - وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف: ٢٦ - ٢٨]

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[التوبة: ١٢٨]

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عنه نهى وزجر، وأن لا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ (خَمْسَةٌ) شَهَادَةُ أَن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله و(إقام الصلاة) و (إيتاء الزكاة) و (صوم رمضان) و (حج بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

لا يقوم الإسلام إلا على هذه الأركان، إذا فُقِدَتْ فإن الإسلام لا يستقيم، وبقية الطاعات مكملات لهذه الأركان، كل الطاعات وأفعال الخير كلها مكملات لهذه الأركان، ولهذا «سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بحضرة الصحابة قال: أخبرني عن الإسلام، قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا» .

ففسر الإسلام بأنه هذه الأركان الخمسة، لكن حديث ابن عمر بين أن هذه الخمسة هي مباني الإسلام فقال: «بني الإسلام على خمس» أي: أن هذه الخمس ليست هي الإسلام كله لكنها أركانه ومبانيه التي يقوم عليها وبقية المشروعات مكملات ومتممات لهذه الأركان.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨])

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿شهد﴾، أي حكم وقضى وأعلم وبين وألزم، فالشهادة من الله تدور على هذه المعاني الخمسة: الحكم والقضاء والإعلان والبيان والإلزام.

فمعنى شهد، أي: قضى سبحانه وأعلم وأخبر وألزم عباده بذلك، أنه لا إله إلا هو.

﴿لا إله﴾: لا نافية تنفي جميع ما عبد من دون الله.

﴿إلا هو﴾: مثبت العبادة لله وحده ومعنى أنه لا إله إلا هو: أي لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، أما من عبد غير الله فإن عبادته باطلة لقوله تعالى:﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢] شهد لنفسه سبحانه وتعالى بالوحدانية وهو أصدق القائلين، وشهادته سبحانه وتعالى أصدق الشهادات؛ لأنها صادرة عن حكيم خبير عليم، يعلم كل شيء فهي شهادة صادقة.

فالملائكة وأولو العلم شهدوا لله بالوحدانية، إذًا لا عبرة بقول غيرهم من الملاحدة والمشركين والصابئين الذين يكفرون بالله عَزَّ وَجَلَّ، هؤلاء لا عبرة بهم ولا بقولهم؛ لأنه مخالف لشهادة الله وشهادة ملائكته وشهادة أولي العلم من خلقه.

وقوله: ﴿قائمًا بالقسط﴾ : منصوب على الحال من شهد، أي: حالة كونه قائمًا

سبحانه وتعالى، والقسط: العدل، أي أن الله سبحانه وتعالى قائم بالعدل في كل شيء والعدل ضد الجور، وهو سبحانه وتعالى حكم عدل لا يصدر عنه إلا العدل في كل شيء.

﴿لا إله إلا هو﴾: تأكيد للجملة الأولى.

﴿العزيز الحكيم﴾: اسمان لله ﷻ يتضمنان صفتين من صفاته وهما العزة والحكمة.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ومعناها لا معبود بحق إلا الله وحده، و (لا اله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا الله) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (**ومعناها لا معبود بحق إلا الله**)، أي معنى لا إله إلا الله ليس كما يقول أهل الباطل: لا خالق ولا رازق إلا الله؛ لأن هذا توحيد الربوبية يقر به المشركون، وهم لا يقولون: لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦] آلهتنا، أي: معبوداتنا ﴿لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ يعنون الرسول ﷺ وصفوه بالشعر والجنون؛ لأنه قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، ونهاهم عن عبادة الأصنام.ولما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]يحسبون الآلهة متعددة.

فدل على أن معناها لا معبود بحق إلا الله، ولو كان معناها لا خالق ولا رازق إلا الله، فإن هذا يقرون به ولا يمارون فيه، فلو كان هذا معناها، ما امتنعوا من قول لا إله إلا الله؛ لأنهم يقولون إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض يقولون: الله، إذا سئلوا من الذي يخلق؟ من الذي يرزق؟ من الذي يحيي ويميت؟ ويدبر الأرض؟ يقولون: الله. هم يعترفون بهذا فلو كان هذا معنى لا إله إلا الله لأقروا بهذا، لكن معناها لا معبود بحق إلا الله.

لو قلت: لا معبود إلا الله، هذا غلط كبير؛ لأن المعبودات كلها تكون هي الله -تعالى الله عن هذا- لكن إذا قيدتها وقلت: بحق، انتفت المعبودات كلها إلا الله سبحانه وتعالى، لا بد أن تقول لا معبود حق، أو لا معبود بحق إلا الله. ثم بين ذلك على لفظ الكلمة.

لا إله: النفي، نفي للعبودية عما سوى الله.

إلا الله: هذا إثبات للعبودية لله وحده لا شريك له.

فلا إله إلا الله تشتمل على نفي وإثبات، ولا بد في التوحيد من النفي والإثبات لا يكفي الإثبات وحده، ولا يكفي النفي وحده، بل لا بد من النفي والإثبات كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

فلو قلت: الله إله، هذا لا يكفي، اللات إله، والعزى إله، ومناة إله، كل الأصنام تسمى آلهة.

فلا بد أن تقول: لا إله إلا الله، فلا بد من الجمع بين النفي والإثبات حتى يتحقق التوحيد وينتفي الشرك.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

خير ما يفسر القرآن القرآنُ، فلا إله إلا الله فسرها الله في القرآن، وذلك في قول الخليل عليه الصلاة والسلام فيما ذكر الله عنه: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ هذا النفي لا إله، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾: يعني إلا الله، هذا الإثبات.

فهذه الآية تفسير معنى لا إله إلا الله تمامًا.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: [قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] [آل عمران:٦٤]

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمناظرة أهل الكتاب اليهود والنصارى.

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هذه الكلمة هي ألا نعبد إلا الله هي معنى (لا إله إلا الله)، ومعنى ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أننا نحن وإياكم سواء فيها.

لا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بحيث يعظم كما يعظم الله عَزَّ وَجَلَّ، ويعبد كما يعبد الله، ويجعل الحكم لغيره.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عما دعوتموهم إليه.

﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ] أي فأعلنوا لهم واشهدوهم أنكم مسلمون لله، بريئون مما هم عليه من العناد والتولي عن هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله).اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
[التوبة: ١٢٨]

قال العلامة الفوزان حفظه الله:

(شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله)

الركن الأول من أركان الإسلام مكون من شيئين:

الأول: شهادة أن لا إله إلا الله.

والثاني: شهادة أن محمدًا رسول الله.

فهما ركن واحد، الشق الأول: يعني الإخلاص في العبادة، والشق الثاني: يعني متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.اهـ

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

قوله ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي من جنسكم بل هو من بينكم أيضاً كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٢].

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يشق عليه ما شق عليكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي على منفعتكم ودفع الضر عنكم.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، وخص المؤمنين

بذلك لأنه ﷺ مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وهذه الأوصاف لرسول الله ﷺ تدل على أنه رسول الله حقاً كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٩] وقوله تعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٥٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً تدل على أن محمداً رسول الله حقاً.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَمَعْنَى شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(معنى شهادة "أن محمداً رسول الله) هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله - ﷺ - إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦] ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد ﷺ كما

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾

[سورة الفرقان، الآية: ١].

ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ، حقاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٠] .

فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً

وَلا رَشَداً قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾ [سورة الجن، الآيتين: ٢١-٢٢] وقال سبحانه: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٨] .

وبهذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ ولا من دونه من المخلوقين، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده. ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآيتين: ١٦٢-١٦٣] . وأن حقه ﷺ، أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى أياها وهو أنه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

فالصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، والزكاة هي الركن الثالث وهي قرينة الصلاة في كتاب الله، الصلاة عمل بدني، والزكاة عمل مالي.

دليل التوحيد في أولها في قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ هذا هو تفسير التوحيد، وهو عبادة الله مع الإخلاص له وترك عبادة ما سواه، فالدين والتوحيد والعبادة بمعنى واحد، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: العبادة، هذا تفسير التوحيد.

ودليل الصلاة في قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ والمعنى أن يأتوا بها كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بشروطها وأركانها وواجباتها، أمر مجرد صورة الصلاة فإنها لا تكفي؛ ولهذا لم يقل: ويصلوا، بل قال: ويقيموا الصلاة، ولا تكون الصلاة قائمة إلا إذا أتى بها كما أمر الله سبحانه وتعالى، أما الذي يصلي مجرد صورة في أي وقت يشاء أو بدون طهارة وبدون طمأنينة، ولا يأتي بمتطلبات الصلاة، هذا لم يصل، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسيء في صلاته الذي لا يطمئن في صلاته قال له: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ليس مقصودًا صورة الصلاة من قيام وركوع وسجود وجلوس فقط، ليس هذا المقصود، بل المقصود أن يؤتى بها كما شرع

الله سبحانه وتعالى مستوفية لكل متطلباتها الشرعية.

ثم ذكر دليل الزكاة بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: يدفعوا الزكاة للمستحقين لها، الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠].

ذكر ثمانية مصارف وحصرها بـ (إنما) فلا يكون صرفها في غير هذه المصارف الثمانية، فمن صرفها في غير مصارفها الثمانية لم يكن قد آتى الزكاة ولو أنفق أموالًا طائلة ملايين أو مليارات وسماها زكاة، ولا تكون زكاة حتى توضع في مواضعها التي حصرها الله تعالى فيها، هذا معنى إيتاء الزكاة، وأيضًا في وقتها، أي: يخرجها وقت وجوبها. لا يتباطأ ويتأخر ويتكاسل، طيبة بها نفسه، أي لا يعتبرها مغرمًا أو خسارة، وإنما يعتبرها مغنمًا له.

هذه الأمور الثلاثة هي: ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ الدين: الملة، القيمة: صفة لموصوف محذوف تقديره دين الملة القيمة، أي المستقيمة.

هذا دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٨٣]

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأنه أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يستقيم الإسلام إلا بها، والصيام في اللغة: الإمساك، وفي الشرع: هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع، مع النية في وقت مخصوص، من شخص مخصوص.

وفرض في السنة الثانية للهجرة.

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

الصيام لا يجب إلا على المسلمين أما الكفار لو فعلوه ما صح منهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما داموا على الكفر فإنهم لا تنفعهم العبادات لا صيام ولا غير صيام، ولذلك خاطب به المؤمنين خاصة؛ لأنهم هم الذين يستجيبون، وهم الذين يصح منهم الصيام، ويقبل منهم الصيام.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ معنى كتب: فرض، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] يعني فرض عليكم القتال، فالكتب في كتاب الله معناه الفرض. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: كما فرض على الذين من قبلكم من الأمم، فدل على أن الصيام كان معروفًا عند الأمم السابقة وفي الشرائع القديمة، ولم تختص به شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والنفس قد تتثاقل الصيام لما فيه من كبح جماحها ومنعها من الشهوات، والله

جل وعلا بين أنه سنته في خلقه، وأنه على جميع الأمم، حتى في الجاهلية كان الصيام معروفًا، كانوا يصومون يوم عاشوراء.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذا بيان للحكمة من الصيام، فلعلكم تتقون: بيان للحكمة في مشروعية الصيام، وهو أنه يسبب التقوى؛ لأن الصيام يترك به الإنسان مألوفاته وشهواته ومرغوباته تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى فيكسبه التقوى، كما أنه يكسر أيضًا شهوة النفس وحدتها؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فمع تناول الشهوات يتسلط الشيطان،

ومع ترك الشهوات يضعف مجرى الدم فيطرد الشيطان عن المسلم، ففي الصيام حصول التقوى التي هي جماع الخير كله.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(ودليل الحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧])

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأنه أحد أركان الإسلام، والحج لغة: قصد الشيء وإتيانه، وشرعا: قصد مكة لعمل مخصوص، في زمن مخصوص

﴿ ولِله ﴾ فرض واجب على الناس، ﴿ حِجُّ البَيت ﴾ قصده أداء النسك، فهو أحد أركان الإسلام، كما هو معلوم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة

على المستطيع من الناس أن يحج البيت،والإستطاعة: القدرة بنفسه على الذهاب، ووجود الزاد والراحلة، بعد قضاء الواجبات عليه وغير ذلك مما هو معلوم في كتب التفسير والفقه.

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

ومن لم يستطع: أي، من ليس عنده زاد ولا راحلة فليس عليه حج؛ لأنه غير مستطيع، فشرط وجوب الحج هو الاستطاعة.

ولما كان الحج يؤتى إليه من بعيد من كل أقطار الأرض، من كل فج عميق، ويحتاج إلى مؤنة، وفيه مشقة وتعب، وقد يحصل فيه أخطار، فمن رحمة الله أن جعله في العمر مرة واحدة، وما زاد عليها فهو تطوع، هذا من رحمة الله سبحانه وتعالى حيث لم يوجبه على المسلم كل سنة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا، قال الأقرع بن حابس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أكل سنة يا

رسول الله؟ فسكت عنه الرسول ﷺ، ثم أعاد السؤال، فسكت عنه النبي ﷺ، ثم أعاد السؤال، فقال النبي ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم، الحج مرة واحدة، فما زاد فهو تطوع»، هذا من رحمة الله.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فيه دليل على أن من امتنع عن الحج وهو يقدر ولم يحج فإنه كافر؛ لأن الله قال: (ومن كفر)، أي: من أبى أن يحج وهو قادر على الحج، فإن هذا كفر، قد يكون كفرا أصغر، فمن تركه جاحدا لوجوبه هذا كفر أكبر بإجماع المسلمين، أما من اعترف بوجوبه وتركه تكاسلا فهذا كفر أصغر، ولكن إذا توفي وكان له مال فإنه يحج من تركته؛ لأنه دين عليه لله عز وجل، وهذه الآية فيها وجوب الحج، وهو ركن من أركان الإسلام، وبين الرسول ﷺ أنه ركن من أركان الإسلام في حديث جبريل، وفي حديث ابن عمر.وقد فرض الحج في السنة التاسعة على قول، ولم يحج النبي ﷺ في هذه السنة، وإنما حج في السنة التي بعدها في السنة العاشرة، لماذا؟ لأنه ﷺ «أرسل عليا ينادي في الناس في الموسم: " أن لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان "»، فلما منع المشركون والعراة من الحج في العام العاشر حج النبي ﷺ حجة الوداع.اهـ

المرتبة الثانية: الإيمان

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

(الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإيمانُ: وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ: لا اله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإيمان)

قال العلامة الفوزان حفظه الله:

فالإيمان أعم من الإسلام، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا، فالإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أهله.

والإيمان في اللغة: التصديق [(١)]، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] ، أي: بمصدق لنا.

وأما الإيمان في الشرع: فهو كما فسره أهل السنة والجماعة: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.فالإيمان: قول باللسان، لا بد من النطق والاعتراف باللسان، واعتقاد بالقلب، لا بد من أن يكون ما ينطق به بلسانه معتقدا له بقلبه، وإلا كان مثل إيمان المنافقين الذين ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] .

---

(١)(قال العلامة العثيمين رحمه الله في شرح العقيدة الواسطية:ج١ ص٥٤) "أن هذا القول لا يصح بل الإيمان في اللغة: الإقرار بالشيء عن تصديق به، بدليل أنك تقول: آمنت بكذا وأقررت بكذا وصدقت فلانا ولا تقول: آمنت فلانا."

قال صالح آل الشيخ في شرحه- والإيمان أصله : في اللغة: هو التصديق الجازم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب الإيمان-(ج١ ص٢٢٨) "لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في خبر عن غائب.".

ولا يكفي القول باللسان والاعتقاد بالقلب، بل لا بد من العمل بالجوارح أيضا، لا بد من أداء الفرائض، وتجنب المحرمات، فيفعل الطاعات، ويتجنب المحرمات، كل هذا من الإيمان، وهو بهذا التعريف يشمل الدين كله، لكن هذه الطاعات والشرائع الكثيرة منها ما هو جزء من حقيقة الإيمان للإيمان، ومنها ما هو مكملات للإيمان.

والإيمان له أركان وله شعب، وقد بينها النبي ﷺ في حديثين، بين أركان الإيمان في حديث جبريل، وبين شعب الإيمان في حديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة» ، وهذا يأتي إن شاء الله

قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة» روايتان.

قوله: (بضع): البضع هو ما بين الثلاثة إلى التسعة، فإذا قيل: بضعة عشر: هو ما بين ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، وإذا قيل: بضع فقط فهو ما بين الثلاثة إلى التسعة.

قوله : (شعبة): الشعبة هي القطعة من الشيء، أي: أن الأركان بضع وسبعون قطعة أو جزءا.

قوله : (أعلاها): أي: أعلى هذه الشعب قول: لا إله إلا الله، فهي رأس الإسلام، ورأس الإيمان، وهي الركن الأول، وهي مدخل الدين.قوله: أدناها أي: آخرها وأقلها.

قوله : (إماطة الأذى عن الطريق) أي: إزالة الأذى عن الطريق المسلوك، والأذى كل ما يؤذي الناس من شوك أو حجر أو قاذورات أو مخلفات، كل ما يؤذي الناس في طريقهم، ووضع الأذى في الطريق محرم؛ لأن الطريق للمارة، فالأذى يعطل المارة، أو يعرضهم للخطر، مثل أن يوقف سيارته

في الطريق، هذا من الأذى، إرسال الماء من البيت في الطريق، هذا من الأذى، وضع القمامات في الطريق، هذا من الأذى، سواء كان الطريق في البلد أو في البر، وضع الحجارة، وضع الأخشاب، وضع الحديد بطرقات الناس، حفر الحفر في طرقات الناس، كل هذا من الأذى.

فإذا جاء مسلم وأزاح هذا الأذى، أخلى الطريق منه، فهذا دليل على إيمانه، فوضع الأذى في الطريق من شعب الكفر، وإزالة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان.

قوله: (والحياء شعبة من الإيمان): الحياء خلق يجعله الله في الإنسان، يحمله على فعل ما يجمله ويزينه، ويمنعه مما يدنسه ويشينه، والحياء الذي يحمل صاحبه على الخير، ويبعده عن الشر، هذا محمود، أما الحياء الذي يمنع الإنسان من فعل الخير، وطلب العلم، والسؤال عما أشكل عليه، فهذا حياء مذموم لأنه خجل.

وشعب الإيمان كثيرة كما عرفتم، بضع وسبعون، وقد كتب الإمام البيهقي مؤلفا كبيرا بين فيه شعب الإيمان، وله مختصر مطبوع.

ومن أدلة العلماء على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، قوله ﷺ: «أعلاها لا إله إلا الله» ، هذا يدل على القول، وقوله ﷺ: «أدناها إماطة الأذى عن الطريق» ، هذا عمل دل على أن الأعمال من الإيمان، وقوله ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان» ، هذا في القلب، الحياء إنما يكون في القلب، فهذا دليل على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.اهـ

أركان الإيمان

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(قال: وأركانه ستة: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.)

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وأركانه ستة) :

أي: أصول الإيمان التي تركب منها، والتي يزول بزوالها ستة أركان، ويكون بزوال الواحد من تلك الستة كافراً كفراً يخرج من الملة.

(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ):

هذا أعظم أركان الإيمان، وهو أصل الأصول، ومعناه: الإيمان بوحدانية الله تعالى، وتفرده بأسماءه وصفاته، والإيمان بأنه الإله الحق، وأن من عبد من دونه فعبادته أبطل الباطل، وأضل الضلال.

(وَمَلائِكَتِهِ):

يعني: وأن تؤمن بجميع ملائكته، وهم الجنس المعروف من خلق الله بتعريف النصوص، عباد مكرمون، خلقوا من نور، يؤمن بهم إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلا في التفصيل، وتعين في التعين، مثل ما ورد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، كجبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، مالك، ورضوان، وغيرهم

(وَكُتُبِهِ):

المنزلة على الأنبياء من السماء، إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، ويفصل بالإيمان، بالقرآن، والزبور، والتوراة، والإنجيل، إلى آخر الكتب المنزلة

(وَرُسُلِهِ):

أي: وكذا الإيمان بجميع رسله إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، فيؤمن بمن جاء تفصيلهم في الكتاب والسنة على التعين، وأعظم ذلك الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وممن يؤمن بهم تفصيلاً أولوا العزم من الرسل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ويؤمن بغيرهم ممن سمى الله في كتابه أو على لسان رسوله في السنة المطهرة، ومن لم يسمى في النصوص يؤمن بهم إجمالاً ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: من الآية٢٨٥] والإيمان بهم فرض، وهو: التصديق بأنهم رسل الله إلى عباده، صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى.

(وَالْيَوْمِ الآخر):

أي: بما يكون بعد الموت في البرزخ، وبالحساب، والميزان، والجنة، والنار، والإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وأكبر ذلك وأعظمه الإيمان ببعث هذه الأجساد وإعادتها كما كانت أجساداً بعظامها وأعصابها، حتى يقع الثواب على هذا الجسد والروح جميعاً، على ما فعلا من طاعة الله، أو يعاقبا على المعاصي التي صدرت منها جميعاً، فإن الطاعة والمعصية صدرت منها جميعاً، فلا بد أن يثابا على ما فعلا، أو يعاقبا على ما تركا فتؤمن أن الذي أوجد هذا الجسد وانفرد بخلقه يبعثه ويعيده كما كان

(وتؤمن بالقدر خيره وشره):

أي: بما قدره الله، يعني: كتبه من خير وشر، والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربعة أشياء: الإيمان بعلم الله القديم، فإن الرب تعالى علم بعلمه القديم ما هو كائن، والإيمان بأن الله كتب ما علم أنه كائن من العباد، والإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى، وأن الله تعالى اوجد جميع الخلق، وأن ما في الكون بتقدير الله وإيجاده، فلا يصير المرء مؤمناً بالقدر إلا بالإيمان بهذه الأربعة الأشياء، وأن يعلم أنما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصبه.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: [لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ]

[البقرة: ١٧٧])

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

البر: هو فعل الخير الذي يقرب من الله، ويوصل إلى جنته، فكل أفعال الخير هي من البر، فالبر لفظ عام يجمع جميع أنواع الخير، وأنواع الطاعات كلها داخلة تحت مسمى البر، وتحت مسمى التقوى. فالبر والتقوى من الأسماء العامة التي تجمع كل خصال الخير.اهـ

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: أنها أركان للإيمان، لا يستقيم إيمان العبد إلا بها جميعها، وأنه متى انتفى واحد منها لم يكن المرء مؤمناً.

قد اشتملت هذه الآية على جملا عظيمة، وعقيدة مستقيمة، وروي أنه ﷺ سئل عن الإيمان، فتلا هذه الآية ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ﴾ وهو كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة. ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ أي: ليس بالبر كله أن تصلوا إلى بيت المقدس عن لم يكن أمر الله وشرعه، وذلك لما حولوا إلى الكعبة.

البر امتثال أوامر الله وإتباع ما شرع، وأعظم ما ذكر في هذه الآية، أو هذه

أنواع البر كلها، وبدأ بالإيمان، أي: ولكن البر الإيمان بالله، أو ولكن البر بر من آمن بالله، أو ذا البر بر من آمن بالله، أي: بتفرده جلّ وعلا بالربوبية والإلهية والأسماء الحسنى والصفات العليا إذ هو أصل الأصول، والإيمان باليوم الآخر، وهو البعث بعد الموت، ينقضي بقضاء الخلق في الدنيا ويموت كل من فيها ثم يحيى الله الموتى، ويعيد الأجساد كما كانت، ويرد إليها الأرواح كما كانت، ويجمع الأولين والآخرين ويوفي كل عامل عمله.

وصدق بوجود الملائكة كلهم وأشرفهم السفرة بين الله ورسوله، وآمن بالكتاب، وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى ختمها بالكتاب العزيز، وهو القرآن الكريم، المهيمن على ما قبله من الكتب، وجاء أنها مائة كتاب وأربعة كتب [١] ، وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى آخرهم، خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.اهـ

---

(١) (ضعيف جدا) الألباني ﵀ في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣٦٢) وانظر في الضعيفة-(١٩١٠ و٦٠٩٠).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ :

(ودليل القدر قَوْلُهُ تَعَالَى: [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ] [القمر: ٤٩])

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ:

دليل الركن السادس من أركان الإيمان: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ، أي: كل شيء خلقه الله فإنه مقدر في علمه وكتابته ومشيئته وإرادته سبحانه وتعالى، وليس هو عفويا أو صدفيا، إنما هو أمر سابق في علم الله، ومكتوب في اللوح المحفوظ، وسابق في مشيئة الله وإرادته سبحانه وتعالى.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

(المرتبة الثالثة: الإحسان، ركن واحد، وهو " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ".)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

الإحسان في اللغة: إتقان الشيء وإتمامه، مأخوذ من الحسن، وهو الجمال، ضد القبح، وهو ينقسم إلى أقسام:

أولا: إحسان بين العبد وبين ربه، وهذا هو المقصود.

ثانيا: إحسان بين العبد وبين الناس.

ثالثا: إحسان الصنعة وإتقانها، إذا صنع الإنسان شيئا أو عمل عملا فإنه يجب عليه أن يتقنه ويتمه.

النوع الأول: وهو الإحسان بين العبد وربه، بينه الرسول ﷺ «لما سأله جبريل بحضرة الصحابة كما يأتي، فقال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

فالإحسان بين العبد وبين ربه هو إتقانه العمل الذي كلفه الله به، بأن يأتي به صحيحا خالصا لوجه الله عَزَّ وَجَلَّ، عمل الإحسان بين العبد وربه ما توفر فيه الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، والمتابعة للرسول ﷺ، وقد بين النبي ﷺ أن الإحسان على مرتبتين، واحدة أعلى من الأخرى.

الأولى: أن تعبد الله كأنك تراه، بأن يبلغ بك اليقين والإيمان بالله كأنك تشاهد الله عيانا، ليس عندك تردد أو أي شك، بل كأن الله أمامك سبحانه وتعالى

تراه عيانا، فمن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ غاية الإحسان، تعبد الله كأنك تراه من كمال اليقين وكمال الإخلاص، كأنك ترى الله عيانا، والله جل وعلا لا يرى في الدنيا، وإنما يرى في الآخرة، ولكن تراه بقلبك حتى كأنك تراه بعينيك، ولذلك يجازى أهل الإحسان بالآخرة بأن يروه سبحانه وتعالى، لما عبدوه وكأنهم يرونه في الدنيا جازاهم الله بأن أفسح لهم المجال بأن يروه بأبصارهم في دار النعيم.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ، الزيادة هي النظر لوجه الله، السبب أنهم أحسنوا في الدنيا، فأعطاهم الله الحسنى، وهي الجنة، وزادهم رؤية الله ﷻ، تعبد الله كأنك تراه على المشاهدة، والمحبة والشوق إلى لقائه سبحانه وتعالى، تتلذذ بطاعته، وتطمئن إلى طاعته سبحانه وتعالى، تشتاق إليها، هذه طريقة المحسنين.

المرتبة الثانية: إذا لم تبلغ هذه المرتبة العظيمة فإنك تعبده على طريقة المراقبة، بأن تعلم أن الله يراك، ويعلم حالك، ويعلم ما في نفسك، فلا يليق بك أن تعصيه، وأن تخالف أمره، وهو يراك ويطلع عليك، وهذه حالة جيدة، ولكنها أقل من الأولى، وما دمت أنك تعلم أنه يراك فإنك تحسن عبادته وتتقنها؛ لأنك تعلم أن الله يراك، ولله المثل الأعلى لو كنت أمام مخلوق له منزلة وأمرك بأمر، وأنت تنفذ هذا الأمر أمامه وينظر إليك، هل يليق بك أن يقع منك إخلال بهذا الفعل؟

الحاصل: أن الإحسان على مرتبتين:

مرتبة المشاهدة القلبية: وهي أن تعبد الله كأنك تراه من شدة اليقين والإيمان، كأنك ترى الله ﷻ عيانا.

والمرتبة الثانية: وهي أقل منها، أن تعبد الله وأنت تعلم أنه يراك ويطلع عليك، فلا تعصيه ولا تخالف أمره سبحانه وتعالى.

هذه مرتبة الإحسان، وهي أعلى مراتب الدين، من بلغها فإنه بلغ أعلى مراتب الدين، وقبلها مرتبة الإيمان، وقبلها مرتبة الإسلام.اهـ

دليل الإحسان

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ] [النحل: ١٢٨] ، وقَوْلُهُ تَعَالَى: [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠] ، وقَوْلُهُ تَعَالَى: [وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] [يونس: ٦١]

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

هذا دليل المرتبة الأولى من الإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ، دلت الآية أن الله مع المحسنين وهم الذين عبدوا الله كأنهم يرونه، فإن الله معهم معية خاصة، معية النصرة والتأييد والتوفيق.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ هذا دليل المرتبة الثانية، هذا دليل قوله: " فإنه يراك ".

﴿وتوكل﴾: أي: فوض أمورك.

﴿على العزيز الرحيم﴾: وهو الله سبحانه وتعالى.

﴿حين تقوم﴾: تقوم للعبادة والصلاة.

﴿وتقلبك في الساجدين﴾: يراك وأنت راكع، وأنت ساجد، يراك في جميع أحوال العبادة قائما وراكعا وساجدا، فهو يراك سبحانه وتعالى.

﴿إنه هو السميع العليم﴾: السميع لأقوالك، العليم بأقوالك سبحانه وتعالى، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ هذا دليل المرتبة الثانية، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، في أي شأن من أمورك، من أمور العبادة أو من غيرها، جميع أفعالك وتحركاتك ما تكون في شأن من الشئون.

﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ أي: من الله لأن القرآن من عند الله ﷻ، أو الضمير راجع إلى الشأن، أي: ومن الشأن الذي تكون فيه تلاوة القرآن.

﴿وَلا تَعْمَلُونَ﴾ هذا لجميع الأمة، للرسول ﷺ وغيره.

﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ أي: عمل من الأعمال خير أو شر.

﴿إلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ نراكم ونبصركم ونشاهدكم، هذا دليل لقوله صلى الله عليه وسلم: " فإنه يراك ".

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تباشرونه وتعملونه، فهذا يعطي دليلا على المرتبة الثانية من مراتب الإحسان، وأنه جل وعلا شهيد على كل عامل بعمله، يراه سبحانه وتعالى ويعلمه ويبصره، ولا يغيب عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥] .

وأما الإحسان بين العبد والخلق فمعناه: بذل المعروف لهم، وكف الأذى

عنهم، بأن تطعم الجائع، وتكسو العاري، وتعين بجاهك المحتاج، وتشفع لمن احتاج الشفاعة، تبذل المعروف، جميع وجوه المعروف، تكرم الضيف، تكرم الجار، لا يصدر منك إلا خير لجارك، وتكف أذاك عنه أيضا فلا يصدر منك أذى له ولا لغيره، من الناس من لا يصدر منه إلا أذى، ومن الناس من يصدر منه أذى وخير، ومن الناس من لا يصدر منه إلا خير، فهذا في أعلى الطبقات.

بذل الخير للناس وكف الأذى عنهم هو الإحسان للناس: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، حتى البهائم يجب أن تحسن إليها بأن تهيئ لها ما تحتاج إليه، وتمنع الأذى عنها، وترفق بها، هذا من الإحسان إلى البهائم، حتى المستحق للقتل لا تعذبه، بل تقتله قتلة حسنة ومريحة، من وجب عليه القصاص، ومن وجب عليه الحد، فإنه ينفذ فيه برفق، لا تمثيل، ولا تعذيب، ولا صبر.

قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح» في القصاص أو غير ذلك مما يلزم الحد.

فإذا ذبحتم: أي، ذبحتم الحيوانات المأكولة، فأحسنوا الذبحة، «وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته» ، فتحسن حتى للبهائم، وقد «غفر الله للبغي من بني إسرائيل بسبب أنها سقت كلبا رأته يلهث من العطش، فسقته فشكر الله لها، فغفر الله لها»اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ) : حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ (١) عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « بينما نحن جُلُوسٌ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ. وَأَنَّ محمدا ﷺ رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا قَالَ: صَدَقْتَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فَإِنَّهُ يراكَ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: أخبرني عَنْ أَمَارَاتِهَا قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ قَالَ: فَمَضَى فَلَبِثْنَا مَلِيًّا فَقَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم» .

---

(١) قال القرطبي كما في الفتح (١/ ١٢٥) : "هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة؛ لما تضمنه من جمل علم السنة". وقال القاضي عياض اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداء وحالا ومآلا ومن أعمال الجوارح ومن إخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه.اهـ فتح الباري لابن حجر (١/ ١٢٥).

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

قد تقدم الكلام عن الإسلام والإيمان والإحسان، وأركان كل مرتبة، وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أدلة كل مرتبة من القرآن، وهذا كله تقدم وانتهى، ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ دليل هذه المراتب من السنة، سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر حديث جبريل وأنه أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مع أصحابه، أتاهم في صورة رجل، وجلس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم سأله عن الساعة، وسأله عن أماراتها، هذا ما يسمى بحديث جبريل أو حديث عمر، وهو حديث ورد من عدة طرق عن جماعة من الصحابة، فهو حديث صحيح، وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ رواية عمر بن الخطاب في هذا الحديث مع اختلاف في ألفاظ الحديث في طرق أخرى، ولكن المعنى واحد.

(فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

أي: عن قيام الساعة متى؟ ولما كان هذا السؤال لا يعلم أحد الجواب عنه إلا الله سبحانه وتعالى؛ لأن قيام الساعة لا يعلم تحديده إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

نحن نعلم أنها ستقوم الساعة لا نشك في هذا، من شك في هذا فهو كافر، نعلم أنها ستقوم الساعة ولا بد، ولكن الوقت الذي تقوم فيه الساعة الله عَزَّ وَجَلَّ لم يخبرنا عنه، ولم يبينه لنا، واستأثر بعلمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]،

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي

لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ، هو الذي يعلمها سبحانه، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، ومنها وقت قيام الساعة.

قال ﷺ لجبريل: ما المسئول عنها بأعلم من السائل» ، أي: أنا وأنت سواء لا نعلم متى تقوم الساعة، الله جل وعلا لم يطلع على هذا لا الملائكة، ولا الرسل، ولا أحدا، بل استأثر بعلمها سبحانه وتعالى.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأمة ربتها [(١)])

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ:

قال: أخبرني عن أماراتها: الأمارات جمع أمارة، وهي العلامة، أما الإمارة بالكسر فهي الولاية.

أخبرني عن أماراتها، أي: العلامات التي تدل على قرب قيامها، نعم الساعة لها أمارات، وقد بينها الله سبحانه وتعالى، منها أمارات صغيرة، ومنها علامات كبيرة، ومنها متوسطة، ومنها علامات مقاربة للساعة تكون عند قيام الساعة، تكون قريبا من قيامها، أما العلامات الأخرى فإنها متقدمة، العلماء يقولون: علامات الساعة على ثلاثة أنواع: هي علامات صغيرة ومتقدمة، وعلامات متوسطة، وعلامات كبيرة.

العلامات الصغيرة والعلامات المتوسطة كلها حصلت أو حصل معظمها،

---

(١) قال العلامة بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ : "وهو كناية عن تغير الحال بسرعة، ويدل لهذا ماذكره بعد" (شرح الأربعون النووية-ص٥٥).

أما العلامات الكبار ظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، فهذه تكون عند قيام الساعة وتتتابع. قال: أخبرني عن أماراتها: ولما كانت أماراتها معلومة أجابه الرسول ﷺ قال: " «أن تلد الأمة ربتها» " هذا من علامات الساعة، الأمة هي المملوكة، وربتها سيدتها.

قال الشراح: معناه والله أعلم أنه في آخر الزمان يكثر التسري، يعني يكثر وطء الإماء - أي: المملوكات - فيلدن بنات، تكون بنتها حرة، وتكون سيدة لأمها ومالكة لها، وقيل: معناه أنه يكثر العقوق، فتكون البنت كأنها سيدة لأمها.

(وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان)

قال العلامة الفوزان حفظه الله:

وأن ترى الحفاة: هذه علامة ثانية.

الحفاة: الذين ليس لهم نعال من الفقر والفاقة. **العراة**: الذين ليس لهم لباس. **العالة**: الفقراء.

رعاء الشاء: جمع راعٍ، الذين يرعون الأغنام، هؤلاء كانوا في الأصل في البراري في بيوت ينتقلون من محل إلى آخر.

وفي آخر الزمان يستوطنون في المدن، ويبنون القصور والعمارات الشاهقة.

هذا من علامات الساعة، إذا تحولت البادية إلى حاضرة، وصاروا يتطاولون في المباني، ويتباهون بها وينمقونها، وهم ليس من عادتهم، يتحولون إلى أغنياء، إلى أصحاب ثروة وأصحاب مظاهر، هذه من علامات الساعة.

وكما تعلمون فإن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، كما تعلمون الآن كيف

حال الناس، لقد تغيرت الأحوال وتحول الفقراء إلى أغنياء أصحاب ثروات، وتحضرت البادية وبنوا وتطاولوا في البنيان، وهذا مصداق ما قاله رسول الله ﷺ.

(قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: يَا عُمَرُ أتدري من السائل؟ قلت: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يعلمكم أمر دينكم)

قال العلامة الفوزان حفظه الله:

قال: ثم خرج ولبثنا مليا: يعني وقتا قصيرا.

قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم: هذا الذي دخل وسأل هذه الأسئلة هو جبريل عليه السلام، وجاء في صورة رجل كما وصف لغرض تعليم الحاضرين أمور دينهم على طريق السؤال والجواب.

(الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نبيكم عليه الصلاة والسلام)

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمعرفة نبينا محمد ﷺ هي أحد الأصول الثلاثة.

فكما أن الأصل الأول: وهو معرفة الله العظيم وواجب معرفته، وكذلك الأصل الثاني: وهو معرفة دين الإسلام الذي خلقنا الله له وتعبدنا بالقيام به أصل عظيم وواجب معرفته.

فكذلك هذا الأصل الثالث: وهو معرفة نبينا محمد ﷺ أصل عظيم يجب معرفته، فإنه ﷺ هو الواسطة بيننا وبين الله تعالى.

ولا وصول لنا ولا اطلاع لنا ولا طريق لنا ولا نعرف ما ينجينا من غضب الله وعقابه ويقربنا من رضى الله وثوابه إلا بما جاء به نبينا محمد ﷺ.

وإذا كان كذلك عرفنا وجه كون معرفته أحد الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها، فإنا لا نعرف الأصل الأول الذي هو معرفة الرب جل جلاله.

ولا الأصل الثاني الذي هو دين الإسلام إلا بالواسطة بيننا وبين الله، فتحتمت معرفته ﷺ، وصارت أصلا ثالثا.

إذ لا يمكن معرفة المرسل إلا بمعرفة رسوله، فصار من الضروريات معرفة الرسول ﷺ، وبذلك ظهر أن معرفته ﷺ أحد الأصول الثلاثة.

ومعرفته تنتظم أشياء عديدة:

منها: معرفة اسمه، ونسبه، وعمره، وبقائه في الدنيا، ووفاته، ومعرفة ما نبئ به ، وما أرسل به، وبلده، ومهاجره.

ومنها-وهو أعظمها-: معرفة ما بعث به، وغير ذلك مما ذكر المصنف وغيره.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(وَهُوَ مُحَمَّدُ(١) بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المطلب بن هاشم مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نبينا أفضل الصلاة والسلام.)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

هذا اسمه ونسبه، اسمه محمد عليه الصلاة والسلام، وله أسماء غير محمد، لكن أشهر أسمائه محمد قد ذكر الله ذلك في القرآن في عدة آيات: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، وقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾الأحزاب: ٤٠] .

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢] ، فذكر الله اسمه محمدا في عدة آيات.

ومن أسمائه أحمد، قد ذكره الله في قوله في بشارة المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] ، فهو محمد وأحمد، ومعنى ذلك أنه كثير المحامد عليه الصلاة والسلام، وكثير الصفات التي

---

(١)قال صالح آل الشيخ في شرحه: "قال طائفة من أهل العلم؛ لم يسم قبله صلى الله عليه وسلم في العرب أحد بهذا الإسم. وقال الآخرون؛ بل العرب تسمّتْ بمحمد لكن قليل إما إثنان أو ثلاثة هذا الثاني صحيح. اهـ (مختصرا).

يحمد عليها،

ومن أسمائه نبي الرحمة، ونبي الملحمة -يعني الجهاد في سبيل الله-، والحاشر، والعاقب عليه الصلاة السلام الذي يحشر الناس بعد بعثته؛ لأنه آخر الرسل ﷺ، فليس بعده إلا قيام الساعة، فبعد رسالته تقوم الساعة، ويحشر الناس للجزاء والحساب.

وأما نسبه فهو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وهو من قبيلة قريش التي هي أشرف القبائل، وقريش من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام، والعرب على قسمين في المشهور:

العرب العاربة، وهم القحطانية والعرب المستعربة، وهم العدنانية من ذرية إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام، سموا بالمستعربة لأنهم تعلموا العربية من العرب العاربة لما جاءت جرهم، ونزلوا في مكة عند هاجر أم إسماعيل وابنها إسماعيل وهو صغير لما وجدوا ماء زمزم نزلوا، واصطلحوا مع هاجر أن ينزلوا عندها، وأن تسمح لهم أن يستقوا من الماء، فإسماعيل عليه السلام كان رضيعا في ذلك الوقت، ثم إنه تربى ونشأ وأخذ العربية عن جرهم وهي من العرب العاربة، وتزوج من جرهم، وجاءه ذرية تعلموا العربية ونشئوا مع العرب، فصاروا عربا مستعربة وهي العدنانية، أما العاربة فهم القحطانية أصلها من اليمن.

وبعض العلماء يقول: العرب العاربة على قسمين: عرب بائدة، وعرب باقية، العرب البائدة هم الذين هلكوا، وهم قوم نوح وعاد وثمود وشعيب، أما العرب

الباقية فهم الذين ينقسمون إلى عرب عاربة، وعرب مستعربة وهي العرب الباقية، والنبي من بني هاشم، وهاشم من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام، واسمه مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وعبد المطلب ليس هذا اسمه، اسمه شيبة، ولكن سمي عبد المطلب لأن عمه المطلب بن عبد مناف جاء به من المدينة وهو صغير من أخواله بني النجار، فلما رآه الناس أسود من السفر ظنوا أنه عبد مملوك للمطلب، فقالوا: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وعبد مناف له أربعة أولاد: هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل.

بنو هاشم يقال لهم: الهاشميون، وبنو المطلب يقال لهم: المطلبيون، وأما عبد شمس فمنهم عثمان رضي الله عنه ومنهم بنو أمية، هؤلاء من بني عبد شمس.

ونوفل كذلك له ذرية منهم: جبير بن مطعم وحكيم بن حزام، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام له إسماعيل وهو الأكبر، وهو جد العرب العدنانية، وإسحاق وهو جد بني إسرائيل، وجميع الأنبياء كلهم من ذرية إسحاق إلا نبينا عليه الصلاة والسلام فهو من ذرية إسماعيل خاتم النبيين.

أما مولده فقد ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وهو العام الذي جاء فيه أبرهة ملك اليمن، انتدبه ملك الحبشة ليهدم الكعبة ومعه فيه فيل عظيم، فلما وصل إلى مكان يقال له: المغمس، ولم يبق إلا أن يدخل مكة ويهدم الكعبة، وتفرق أهل مكة وصعدوا الجبال؛ لأنهم لا طاقة لهم به، فأراد أن يتوجه إلى الكعبة، فانحبس الفيل وأبى أن يقوم من الأرض، حبسه الله، فإذا وجهه إلى غير جهة مكة قام وهرول، وإذا وجهه إلى جهة مكة انحبس ولم يستطع المشي، وبينما هم كذلك

رأوا فرقان طير من قبل البحر معها حجارة.

كل طائر معه حجران: حجر في منقاره وحجر في رجليه، فرمتهم فصارت الحصاة تضرب هامة الرجل، فتخرج من دبره وتشقه نصفين، فأهلكهم الله ﷻ، فأنزل الله في ذلك يذكر قريشا سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ من جهنم والعياذ بالله ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل] ، أصبحوا مثل التبن الذي أكلته الدواب وراثته.

هذه قصة الفيل، حمى الله بيته الحرام، وأهلك هذا الجبار.

ولد في مكان يقال له: شعب على مقربة من الكعبة، ولد في مكة، لكن لا يوجد تحديد ثابت لموضع الدار.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَثَلاثٌ وعشرون نبيا رسولا.

نبئ باقرأ. وأرسل بالمدثر. وَبَلَدُهُ مكَّةُ بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى: [يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - قُمْ فَأَنْذِرْ - وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ - وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ - وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ - وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ - وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ] [المدثر: ١ - ٧] وَمَعْنَى قُمْ فَأَنْذِرْ: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إلى التوحيد، وربك فكبر عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ: أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ من الشِّرْكِ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ.

الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة في الْمَدِينَةِ)

قال العلامة بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور:

الأول: معرفته نسباً.

فهو أشرف الناس نسباً فهو هاشمي قرشي عربي فهو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثاني: معرفة سنه، ومكان ولادته، ومهاجره وقد بينها الشيخ بقوله: "وله من

العمر ثلاث وستون سنة، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة" فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثا وخمسين سنة، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشر بعد الهجرة.

الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحي إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه:

وأتـت عليـه أربعـون فأشرقـت شـمس النبـوة منـه في رمضـان

الرابع: بماذا كان نبياً ورسولاً؟

فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْأِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق، الآيات: ١-٥] ، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [سورة المدثر، الآيات: ١-٧] ، فقام ﷺ فأنذر وقام بأمر الله عز وجل.

الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى النور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.اهـ

(وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله: أسري بجسده ﷺ وروحه جميعاً من

المسجد الحرام على البراق إلى البيت المقدس يقظةً لا مناماً، كما أخبر الله عنه ثم صعد به جبرائيل إلى السماء على المعراج، وهو المصعد الذي تصعد فيه الملائكة، كلّما مر بسماء تلقاه مقربوها حتى جاوزهم إلى سدرة المنتهى، فبلغ من الارتفاع والعلو إلى ما الله به عليم، ودنا من الجبار جل جلاله، وكلمه بلا واسطة، فأوحى إليه ما أوحى.

(وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ)

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان أول فرضها خمسين صلاة، ولم يزل يتردد بين موسى وربه حتى وضعها إلى خمس، وقال: "هي خمس، وهي خمسون..الحسنة بعشر أمثالها" ، ثم هبط إلى البيت المقدس وهبط الأنبياء معه، وأمّهم في بيت المقدس، ثم ركب البراق ورجع إلى مكة، وحدثهم عمّا رآه مسيره صلوات الله وسلامه عليه.

(وبعدها أمر بالهجرة إلى الْمَدِينَةِ)

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: وبعد ثلاث عشرة من مبعثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بمفارقة المشركين وأوطانهم بحيث يتمكن من إظهار دينه، والدعوة إلى الله في غير بلادهم، فإن ذلك واجب وفرض.

وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا يتم الفرض والواجب إلا مع مفارقة المشركين عن الأوطان، فإنه إذا كان في بلد لا يقدر على إظهار دينه والتصريح به وتبيينه، وجب عليه مفارقة ذلك الوطن لإظهار دينه.

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة: لما اشتد أذى قريش وزاد شرهم بالصد عن سبيل الله ومضايقة المسلمين، وتعذيب من ليس له جماعة تحميه من مستضعفي المسلمين، أذن الله سبحانه وتعالى للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة، الهجرة الأولى؛ لأن فيها مَلِكًا لا يظلم أحد عنده وكان نصرانيا ولكنه كان عادلا، هاجر منهم نفر كثير، فلما علمت قريش بهجرتهم إلى الحبشة، أرسلوا في طلبهم مندوبين من دهاة قريش أحدهما: عمرو بن العاص، ومعهما الهدايا للنجاشي(١) ، وقالوا: إن هؤلاء فروا منا وهم أقاربنا نريد أن يرجعوا وإنهم أشرار، لا يفسدون في بلدك. . . إلخ.

وأعطوه الهدايا التي معهم ليغروه، ولكنه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - استدعى المهاجرين وسمع منهم، وخيرهم فاختاروا البقاء في الحبشة، فرجع المندوبان خائبين وبقي من بقي في الحبشة من المهاجرين.

ثم إن الله مَنَّ على النجاشي فأسلم وَحَسُنَ إسلامه، فلما توفي صلى عليه الرسول ﷺ هو وأصحابه صلاة الغائب، فكان في هجرتهم إليه خير له أيضا هداه الله بسببهم فدخل في الإسلام.

ثم لقي النبي ﷺ نفرًا من الأنصار في منى في موسم الحج، وكان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج، يذهب إلى منازل العرب في منى

---

(١) قال النووي في شرح مسلم تحت حديث رقم (٩٥٢) "والنجاشي لقب لكل من ملك الحبشة وأما أصحمة فهو اسم علم لهذا الملك الصالح الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم"اهـ.

ويدعوهم إلى الله، وصادف أن لقي أناسًا من الأنصار فدعاهم إلى الله فعرض عليهم ما عنده، فقبلوا من الرسول ﷺ دعوته، وبايعوه على الإسلام، ورجعوا إلى قومهم من موسم الحج فدعوهم إلى الله ﷻ، فوافى في الموسم الذي بعده أكثر من الموسم الأول، جاء ناس من الأنصار وبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية أي: عند جمرة العقبة، بايعوه على الإسلام، وعلى أن يناصروه إذا هاجر إليهم، وأن يحموه مما يحمون منه أنفسهم وأولادهم.

فعند ذلك، أي: بعد هذه البيعة المباركة أمر النبي ﷺ من كان في مكة من المسلمين بالهجرة إلى المدينة، وهاجر من هاجر إلى المدينة، وبقي الرسول وبعض أصحابه، ثم إن الله أذن لنبيه ﷺ بالهجرة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

(والْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسلام وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أن تقوم الساعة)

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللَّهُ:

الهجرة في اللغة: ترك الشيء.

أما الهجرة في الشرع: فهي كما عرفها الشيخ: الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهذه هي الهجرة الشرعية، والهجرة عمل جليل قرنه الله بالجهاد في كثير من الآيات.

لما هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة جاء المهاجرون الذين كانوا في الحبشة إلى المدينة واجتمع المسلمون في المدينة، والحمد لله، وتكونت للمسلمين دولة في المدينة من المهاجرين والأنصار، ومن يسلم يأتي إليهم، عند ذلك شرع الله بقية شرائع الدين، ففرض على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصيام والزكاة في السنة الثانية من الهجرة، وفرض عليه الحج في السنة التاسعة من الهجرة على الصحيح، وبذلك تكاملت أركان الإسلام، أولها الشهادتان، وآخرها الحج إلى بيت الله الحرام.

والحاصل من هذا أن نعلم أن التوحيد هو المهمة الأولى في الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه يبدأ الداعية به قبل أن يبدأ بالصلاة والصيام أو الزكاة أو الحج؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقي عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وينهى عن الشرك، ولم يؤمر بصلاة، ولم يؤمر بزكاة ولا بحج ولا بصيام، وإنما فرضت عليه هذه الفرائض بعد أن

تقرر التوحيد.

فالنبي ﷺ كان إذا بعث الدعاة يأمرهم أن يدعو الناس أول ما يدعون إلى التوحيد كما في حديث معاذ: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ محمدًا رسول الله، فإن هم أجابوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات. . .» إلخ الحديث.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ:

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۞ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧ – ١٠٠].

قال العلامة الفوزان رَحِمَهُ اللهُ:

هاتان الآياتان فيهما الوعيد على من ترك الهجرة وهو يقدر عليها، وأن مأواه جهنم وساءت مصيرا، وإن كان لا يخرج من الإسلام، لكن هذه من نصوص الوعيد، وإن كان ترك الهجرة فقد ترك واجبًا، وكان عاصيًا، ولكن لا يخرج من الإسلام بترك الهجرة، ولكن عليه وعيد شديد. ثم بين الله بالآية التي بعدها العذر الذي يسقط وجوب الهجرة، قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ يعني الأطفال ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ ، ما عندهم إمكانيات،

[وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا] ، أي: ما يعرفون الطريق إلى البلد المدينة؛ لأن الهجرة تحتاج إلى سفر، وإلا فإن الإنسان يهلك خلال الهجرة إذا كان لا يعرف الطريق، فعذرهم في أمرين:

الأول: لا يستطيعون حيلة.

الثاني: ولا يهتدون سبيلا، حتى لو كان عندهم إمكانيات مادية، ولكنهم لا يعرفون الطريق الذي يسلكونه، من يدلهم هذا هو العذر الصحيح.

أما الإنسان الذي عنده إمكانيات ويعرف الطريق فهذا لا عذر له.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

قوله تعالى: [يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ](١) [العنكبوت: ٥٦] .قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سبب نزول هذه الآية فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ الله باسم الإيمان.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم: "لا تنقطع الهجرة حتى تَنقَطِعَ التَّوبَةُ وَلا تَنقطِعُ التَّوبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشمس من مغربها "(٢) .

---

(١)قال القاسمي رحمه الله في تفسيره محاسن التأويل-"وهذا خطاب لمن لم تمكنه عبادته تعالى وحده في أرضه، لإيذائه في الله واضطهاده في جانبه، أن يهاجر عنها إلى بلد ما، يقدر أنه فيه أسلم قلبا، وأصح دينا، وآمن نفسا. وأن يتجنب المقام في بلده على تلك الحالة،كيلا يفتنه الكافرون. أو يعرض نفسه للتهلكة، وقد جعل له منها مخرج. وكون أرض الله واسعة، مذكور للدلالة على المقدر. وهو كالتوطئة لما بعده. لأنها مع سعتها، وإمكان التفسح فيها، لا ينبغي الإقامة بأرض لايتيسر بها للمرء ما يريده...

ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم، خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير نزل بها، عند ملكها النجاشي رحمه الله. ثم بعد ذلك هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلموأصحابه الباقون إلى المدينة المنورة، عملا بالآية الكريمة. اهـ مختصرا

قال صالح آل الشيخ في شرحه:

"أن ترك الهجرة ليس شركا أكبر وليس كفرا أكبر وإنما هو معصية من المعاصي.

{فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} أن هذا لأجل أنهم تَرَكُوا واجبا من الواجبات،وارتكبوا كبيرة من الكبائر، لكن لا يسلب منهم الإيمان بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام. اهـ (مختصرا).

(٢) هذا حديث حسن (أحمد-١٦٧١) عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيرهم.

قال العلامة بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظاهر أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقل هذا عن البغوي بمعناه، هذا إن كان نقله من التفسير إذ ليس المذكور في التفسير البغوي لهذه الآية بهذا اللفظ.

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

هذه الآية من سورة العنكبوت، وفيها الأمر بالهجرة وأن أرض الله واسعة، إذا كنت في بلد لا تتمكن من إظهار دينك فيها، فهناك أرض الله واسعة، انتقل منها، لا تبقَ في هذه البقعة السيئة بل اخرج منها إلى أرض الله الواسعة.

قد وسع الله الأرض سبحانه وتعالى، والدليل على الهجرة من السنة قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» .

أما قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا هجرة بعد الفتح» ظاهر هذا الحديث أن الهجرة انتهت بعد فتح مكة.

وظن بعض الناس التعارض بين هذا الحديث وبين قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها») لكن أهل العلم أجابوا عن هذا الحديث، أن المراد لا هجرة بعد الفتح أي: من مكة، لأنها صارت بالفتح دار إسلام، يظنون أن الهجرة باقية من مكة بعد الفتح، فيريدون تحصيل ثواب الهجرة.

وأما الهجرة من بلاد الكفر فهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل الآيات السابقة والحديث النبوي السابق، هذا هو الجواب على هذا الإشكال.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حكم السفر إلى بلاد الكفر.

فنقول: السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلاداً سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.

وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين الإسلام، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان – والعياذ بالله – حتى صاروا إلى الجحود المطلق والإستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك

ووضع الشروط التي تمنع من الهوي في تلك المهالك.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

فَلَمَّا استَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ مِثلِ الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنكَرِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هذَا عَشرَ سِنِينَ. وَتُوُفِّيَ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ، بَعَثَهُ اللهُ فِي النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنسِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا] [الأعراف: ١٥٨]

وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى:[اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الأسلام دينا][سورة المائدة، الآية: ٥] .

قال العلامة الفوزان حفظه الله:

هذا كما سبق بيانه أن الشريعة نزلت بالتدريج حتى تكاملت -ولله الحمد- قبل وفاة النبي ﷺ وأنزل الله عليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وبعد نزول هذه الآية بمدة يسيرة توفي النبي ﷺ ودينه باق إلى أن تقوم الساعة.

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله:

لم يتوف ﷺ حتى أكمل الله به الدين وبلّغ البلاغ المبين، حتى قال: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».

هذه الآية لم تنزل إلا قبل وفاته ﷺ بثمانين يوماً، نزلت عليه وهو واقف بعرفة يخطب الناس، وهذا أكبر نعم الله على هذه الأمة، حيث أكمل لها دينها، فلا يحتاجون إلى دين سواه، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، وقال تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: من الآية١١٥] ، أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، وفيها بيان أن الله أكمل لنا الدين، وإنه كمل من جميع وجوهه، والكامل لا يزاد فيه، ولا ينقص منه، ولا يبدل، قال تعالى: ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: من الآية١١٥] ، فمن ادعى أنه يحتاج إلى زيادة فقد كذب وافترى، ورد مدلول هذه الآية ومدلول قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".لما أخبر تعالى أنه أكمل لنا الدين، وهو أكبر نعمة علينا قال: ﴿وَأَتْمَمْتُ﴾ ، أي: أكملت ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ ، ومن تمت عليه النعمة فقد أفلح كل الفلاح.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

أن دينه عليه الصلاة والسلام باق إلى يوم القيامة فما توفي رسول الله ﷺ إلا وقد بين للامة جميع ما تحتاجه في جميع شئونها حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: "ما ترك النبي ﷺ طائراً يقلب جناحية في السماء إلا ذكر لنا منه علماً"

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه علمكم نبيكم حتى الخراة – آداب قضاء الحاجة – قال: "نعم لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي برجيع أو عظم" فالنبي ﷺ بين كل الدين إما بقوله، وإما بفعله، وإما بإقراره ابتداء أو جواباً عن سؤال، وأعظم ما بين عليه الصلاة والسلام التوحيد.

وبين كل ما أمر به فهو خير للأمة في معادها ومعاشها، وكل ما نهى عنه فهو شر للأمة في معاشها ومعادها، وما يجهله بعض الناس ويدعيه من ضيق في الأمر والنهي فإنما ذلك لخلل البصيرة وقلة الصبر وضعف الدين، وإلا فإن القاعدة العامة أن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج وأن الدين كله يسر وسهولة قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٥] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٨] وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦] فالحمد لله على تمام نعمته وإكمال دينه.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ:

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ] [سورة الزمر: ٣٠ - ٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى] [طه: ٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: [وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا - ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا] [نوح: ١٧ - ١٨].

قوله: (وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ]):

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ:

النبي ﷺ لما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة توفاه إليه كما هي سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] والأنبياء والرسل داخلون في هذا العموم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فالنبي ﷺ قد توفي وانتقل من هذه الدنيا إلى ربه عَزَّ وَجَلَّ، وهذا ثابت بالنص والإجماع والقياس.

قوله: (وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ،...إلخ)

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

بين رَحِمَهُ اللهُ تعالى في هذه الجملة أن الناس إذا ماتوا يبعثون، يبعثهم الله عَزَّ وَجَلَّ أحياء بعد موتهم للجزاء، وهذا هو النتيجة من إرسال الرسل أن يعمل الإنسان لهذا اليوم يوم البعث والنشور، اليوم الذي ذكر الله سبحانه وتعالى من أحواله وأهواله ما يجعل القلب ينيب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ويخشى هذا اليوم.

قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ [سورة المزمل، الآيتين: ١٧-١٨] .

وفي هذه الجملة إشارة إلى الإيمان بالبعث وأستدل الشيخ له بآيتين.

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ -أي من الأرض خلقناكم حين خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب.

وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ-أي بالدفن بعد الموت.

وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى-أي بالبعث يوم القيامة.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا - ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجً﴾

هذه الآية موافقة تماماً لقوله تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً وقد أبدى الله ﷻ وأعاد في إثبات المعاد حتى يؤمن الناس بذلك ويزدادوا إيماناً ويعملوا لهذا اليوم العظيم الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من العالمين له ومن السعداء فيه.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[سورة النجم، الآية: ٣١]

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني- أن الناس بعد البعث يجازون ويحاسبون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة، الآيتين: ٧-٨]،

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]، وقال جلا وعلا: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٠]. فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فضلاً من الله عَزَّوَجَلَّ وامتناناً منه سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا قد تفضل بالعمل الصالح، ثم تفضل مرة أخرى بالجزاء عليه هذا الجزاء الواسع الكثير،

أما العمل السيء فإن السيئة لا يجازى الإنسان بأكثر منها قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٠] وهذا من كمال فضل الله وإحسانه.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] [التغابن: ٧].

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

قوله: من كذب بالبعث كفر: لأنه جحد ركنًا من أركان الإيمان، ولأنه مكذب لله ولرسله ولكتبه؛ لأن الله جل وعلا أخبر عن البعث، والرسل أخبرت عن البعث، والكتب أخبرت عن البعث، فمن أنكره فهو كافر والدليل قوله تعالى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الزعم هو الكذب، ﴿أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ فدلت الآية على أن إنكار البعث كفر، يقولون ليس بعد الموت بعث، المشركون وعبدة الأصنام في عهد النبي ﷺ كانوا يجادلون بالبعث: ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١١- ١٢]

وقالوا: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] . ومن مجادلتهم: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥، ٣٦] إلى غير ذلك من مقالات الكفار من الأمم السابقة ومن المشركين في عهد النبي ﷺ فمن كذب بالبعث فهو مع هؤلاء الكفرة. لا ينكر البعث إلا كافر، ولقد أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ أن يقسم به على البعث، قال: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي﴾ هذا قسم، ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ هذه الآية إحدى الآيات الثلاث التي أمر الله نبيه فيها أن يقسم على البعث.

الآية الأولى: في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣].

الثانية في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

[سبأ: ٣ – ٤] فالله أمر نبيه أن يقسم به على البعث وعلى قيام الساعة.

الآية الثالثة: هي التي معنا من سورة التغابن: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]. فالحكمة من البعث هي جزاء العباد على أعمالهم، وقوله تعالى: لتنبئن، أي: لتخبرن بأعمالكم وتجازون بها.اهـ

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أن الله أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ يبشرون من أطاعهم بالجنة وينذرون من خالفهم بالنار، وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أهمها بل هو أهمها أن تقوم الحجة على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ .

ومنها أنه من تمام نعمة الله على عباده فإن العقل البشري مهما كان لا يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به، ولا يمكنه أن يطلع على ما لله تعالى من الصفات الكاملة، ولا يمكن أن يطلع على ماله من الأسماء الحسنى ولهذا ارسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين، وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وأعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التوحيد كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٦] . وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥] .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ :

(وأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قَوْلُهُ تَعَالَى: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ] (١) [سورة النساء، الآية: ١٦٣]).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

بين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ أن أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام وأستدل لذلك بقوله تعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٦٣]

وثبت في الصحيح من حديث الشفاعة: " إن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض" فلا رسول قبل نوح.

وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٤٠] فلا نبي بعده ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب ﵀:

(وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نوح إلى محمد؛ يأمرهم بعبادة اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] [سورة النحل، الآية: ٣٦])

قال العلامة ابن عثيمين ﵀:

أي أن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٢٤]

وقال:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ .

هذا هو معنى لا إله إلا الله.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ (١) وَالإِيمَانَ بِاللهِ. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ – رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى–الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ معبود أو متبوع، أو مطاع (٢).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

أراد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا أن التوحيد لايتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت.

وقد فرض الله ذلك على عباده. والطاغوت مشتق من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة، الآية:١١] . يعني لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني السفينة.

قال العلامة عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: كل شيء يتعدى به العبد حده، أي: قدره الذي ينبغي له في الشرع يصير به طاغوتاً، سواء تعدى حده من معبود مع الله بأي نوعه من أنواع العبادة، أو متبوع في معاصي الله، أو مطاع من دون الله في التحليل والتحريم، ثم قال ابن القيم: فإذا تأملت طواغيت العالم فإذا هي لا تخرج عن هذه الثلاثة.

---

(١) الكفر بالطاغوت لا يتم إلا بخمسة أمور: إعتقاد بطلانها،وكفرها،وكفر أهلها،وبغضهم جميعا،وتركهم. الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج١ ص١٢١).

(٢) إعلام الموقعين (ج١ ص٥٠).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

والطواغيت كثيرة ورؤسهم خمسة. إبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ ،وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبادَةِ نَفْسِهِ ، ومن أدعى شيئاً من علم الغيب،وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ ٱللَّهُ:

إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، -إبليس لعنه الله، أي: طرده الله وأبعده عن رحمته بسبب أنه امتنع من السجود لآدم وعصى الله سبحانه وتعالى وتكبر وقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] فعصى أمر الله وتكبر فلعنه الله وطرده وأبعده، وسمي إبليس قيل: لأنه أبلس من الرحمة يعني يأس من. الرحمة، فالْمُبْلِس هو اليائس من الشيء، فإبليس لعنه الله رأس الطواغيت لأنه هو الذي يأمر بعبادة غير الله، وهو الذي يأمر باتباع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي يأمر بطاعة غير الله بالتحليل والتحريم، فإبليس هو مصدر الشر وهو رأس الطواغيت.

وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ- أي: عبد وهو راض بعبادة الناس له فهو طاغوت، أما من عبد وهو غير راض بذلك فلا يدخل في هذا؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله ولكنه غير راض بذلك، وأمه وعزير والأولياء والصالحون من عباد الله لا يرضون بهذا، بل كانوا ينكرون هذا ويحاربون من فعله، فمن عبد وهو غير راض بذلك فإنه لا يسمى طاغوتا.

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ- مثل رؤوس المشركين الذين يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم مثل فرعون قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] .

ومثل النمرود ومثل غلاة الصوفية الذين يدعون الناس إلى عبادتهم حتى إنهم يوصون الناس أن يعبدوهم بعدما يموتون فيقول أحدهم: إذا أعيتكم الأمور فأتوا إلى قبري، أي: إذا أعجزتكم الأمور فأتوا إلى قبري ولا يحول بينكم وبيني حفنة من التراب، يوصون الناس أن يأتوا إلى قبورهم.

ومن ادعى شيئاً من علم الغيب: وهذا يدخل فيه السحرة والمنجمون والكهان والرمالون وكل من يدعي أنه يعلم الغيب ويقول للناس: سيحصل لكم كذا وكذا، أنت سيحصل لك سعادة أو يحصل لك شيء من التعب، أو توفق في زواج أو لا توفق، هؤلاء يدعون علم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

لا يعلمها إلا هو: هذا حصر فلا يعلم الغيب إلا الله أو من أطلعه الله على شيء من الغيب من رسله لأجل مصلحة البشر ومعجزة للرسول، لكن لم يعلم الغيب من ذات نفسه وإنما علمه للغيب من تعليم الله له، فلا يعلم الغيب إلا الله فمن ادعى علم الغيب فإنه يكون مشاركًا لله فيما اختص به سبحانه، فيكون مشركًا وطاغوتًا وكافرًا، وهذا من أعظم أنواع الردة عن الإسلام.

وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ- من حكم بغير ما أنزل الله: ودليله قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] فالذي يحكم بغير ما أنزل

الله مستحلا لذلك يكون طاغوتًا، والذي يقول: أنه يجوز أن يتحاكموا إلى القانون أو إلى العوائد في الجاهلية أو عوائد القبائل والبادية ويتركوا الشرع، يقول: هذا حلال، أو: هذا يساوي ما أنزل الله، فإذا قال إنه أحسن مما أنزل الله، أو يساوي ما أنزل الله، أو قال إنه حلال فقط، ولم يقل: إنه يساوي، ولا أفضل، قال: حلال جائز، هذا يعتبر طاغوتًا، وهذا بنص القرآن، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ سمي طاغوتًا لأنه تجاوز حده، أما من حكم بغير ما أنزل الله وهو يقر أن ما أنزل الله هو الواجب الاتباع والحق، وأن غيره باطل، وأنه يحكم بباطل، فهذا يعتبر كافرا الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة، لكنه على خطر عظيم، على طريق قد يصل به إلى الكفر المخرج من الملة إذا تساهل في هذا الأمر.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ :

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: [لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى] [البقرة: ٢٥٦] ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللهُ.)

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

وَالدَّلِيلُ -أي على وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت.

لا إكراه على الدين لظهور أدلته وبيانها ووضوحها ولهذا قال بعده:

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ فإذا تبين الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة لا بد أن تختار الرشد على الغي.

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ - بدأ الله عَزَّ وَجَلَّ بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله؛ لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت ولهذا يقال التخلية قبل التحلية.

فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى -أي تمسك بها تمسكاً تاماً والعروة الوثقى هي الإسلام وتأمل كيف قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ ، ولم يقل: "تمسك" لأن الإستمساك أقوى من التمسك فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك.اهـ

قال الشيخ: وهذا معنى لا إله إلا الله- يعني الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

ثم ختم رَحِمَهُ اللهُ هذه الرسالة المباركة بهذا الحديث-

وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ (١) وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» (٢) وَاللهُ أعلم.

قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ:

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله، هذا هو رأس أمر الدين، الشهادتان هما رأس الإسلام وهما أصل الإسلام، فلا يدخل الإنسان في الإسلام إلا إذا أتى بالشهادتين نطقًا وعلمًا وعملًا واعتقادًا، لا يكون الإنسان مسلما إلا بذلك، شبه الدين بالجسم الذي له رأس عمود وسنام فإذا قطع الرأس أو لم يكن هناك رأس فإنه لا بقاء للحياة، كذلك بدون التوحيد لا بقاء للدين؛ لأنه هو الرأس الذي إذا قطع أو زال زالت الحياة وفسد البدن.

وعموده الذي يقوم عليه هو الصلاة، فبدون عمود لا يقوم الإسلام، مثل بيت الشعر أو الخيمة إذا لم يكن هناك عمود تقوم عليها فإنها لا تقوم، فلا يقوم بيت إلا بعمود فإذا فقد العمود لا يقوم البيت، كذلك الصلاة إذا فقدت فإن الإسلام لا يقوم، ولذلك قال العلماء: إن من ترك الصلاة تكاسلًا فإنه يكفر على الصحيح ولو كان يعترف بوجوبها؛ لأنه لا فائدة من الاعتراف بالوجوب مع عدم التطبيق وعدم العمل، لا فائدة من ذلك، ولذلك حكم المحققون من أهل العلم بكفر من ترك الصلاة متعمدًا ولو كان يقر بوجوبها، أما من كان يجحد

---

(١) قال صالح آل الشيخ- "لأن الأمر الذي هو الدين رأسه الإسلام، فإذا قطع الرأس فلا حياة، فإذا ذهب الإسلام فلا حياة للمرء في الدين".اهـ

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح. عن معاذ بن جبل.

وجوبها فهذا كافر بإجماع المسلمين.

وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله(١) : ذروة سنام الأمر وهو الدين، الجهاد في سبيل الله فالجهاد دليل على قوة الإسلام، إذا وجد الجهاد في سبيل الله فهذا دليل على قوة الإسلام لأن الجهاد لا يكون إلا من قوة إيمان وقوة مادة.

فالنبي ﷺ جعل ثلاثة أشياء للدين: الرأس، والعمود، والسنام، فبعدم الرأس لا وجود للدين أصلًا فالذي لا يحقق الرأس وهو التوحيد لا دين له.

والذي لا يصلي لا يقوم له دين وإن شهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ لأنه يحتاج إلى عمود يقيم عليه الدين وهو لا يوجد إلا بالصلاة. وإذا فقد الجهاد فقدت القوة في الإسلام وصار إسلامًا ضعيفًا وصار المسلمون مستضعفين، فلا قوة للإسلام والمسلمين إلا بالجهاد في سبيل الله عز وجل، فهو علامة القوة، وفقده علامة الضعف. هذا وجه تشبيه الرسول ﷺ لهذه الأمور الثلاثة بالنسبة للدين، رأس وعمود وسنام، كما أن البعير إذا صار له سنام هذا يدل على أنه قوي وإذا لم يكن له سنام فهذا يدل على أنه هزيل ضعيف.

كذلك المسلمون اليوم مستضعفين في الأرض ولهذا في الحديث «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم» فترك الجهاد ذل وضعف للمسلمين، ووجوده

---

(١) قال صالح آل الشيخ: "فالإسلام تميز من بين الأديان كتمييز الجمل بذروة سنامه بالجهاد،فالجمل متميز بالسنام بعامة وبذروة السنام، والإسلام تميز بالجهاد في سبيل الله". اهـ..

دليل القوة والسمن، كالسنام للحيوان.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسالته هذه برد العلم إلى الله عز وجل.

وبهذا انتهت الأصول الثلاثة وما يتعلق بها فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفها أحسن ثواب،وأن يجعل لنا نصيباً من أجرها وثوابها، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

تم هذا الملخص ولله الحمد والمنة

ليلة السبت ١٨ –جمادى الآخرة–١٤٤٠هـ

دار القرآن والحديث–حصوين–المهرة–اليمن

الفهرس

المقدمة ٥
تقديم فضيلة الشيخ أبي عمرو عبد الكريم الحجوري حَفِظَهُ اللهُ ٦
تقديم فضيلة الشيخ أبي عاصم عبد الله الدبعي حَفِظَهُ اللهُ ٧
ترجمة مؤلف كتاب (ثلاثة الأصول) ٨
مؤلفاته: ١١
وفاته: ١١
لماذا خص هذه الأصول الثلاثة؟ ١٣
الأربع المسائل ١٦
الثلاث المسائل ٣١
الحنيفية ٤١
وأنواع التوحيد ثلاثة: ٤٣
والشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر. ٤٦
الأصول الثلاثة ٤٧
الأصل الأول-معرفة العبد ربه ٤٧
فالآيات على قسمين: ٥٤
(الدعاء) ٦٥
وأعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة. ٦٦
(الخوف) ٦٧
(الرجاء) ٦٩
(التوكل) ٧٠

(الرغبة والرهبة والخشوع) ٧٢
(الخشية) ٧٤
(الإِنَابَةِ) ٧٥
(الاستعانة) ٧٧
(الاسْتِعَاذَةِ) ٨٠
(الاستغاثة) ٨٢
والاستغاثة على نوعين: ٨٢
(الذبح) ٨٤
الذبح على أربعة أقسام: ٨٤
(النذر) ٨٦
الأصل الثاني-معرفة دين الإسلام ٨٨
مراتب الدين ٩٢
المرتبة الأولى- الإسلام: ٩٢
الركن الأول من أركان الإسلام مكون من شيئين: ١٠١
المرتبة الثانية: الإيمان ١١١
أركان الإيمان ١١٤
الحاصل: أن الإحسان على مرتبتين: ١٢١
دليل الإحسان ١٢٣
(الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نبيكم عليه الصلاة والسلام) ١٣١
ومعرفته تنتظم أشياء عديدة: ١٣٢
حكم السفر إلى بلاد الكفر ١٤٨
الفهرس ١٦٩